الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

السنة الخامسة والثلاثون
محرم ١٤٤٢هـ - أيلول ٢٠٢٠م

العدد
٤٠٨

كلمة الوعي

«صفقة القرن»: ونظرية «وضع العربة أمام الحمار»

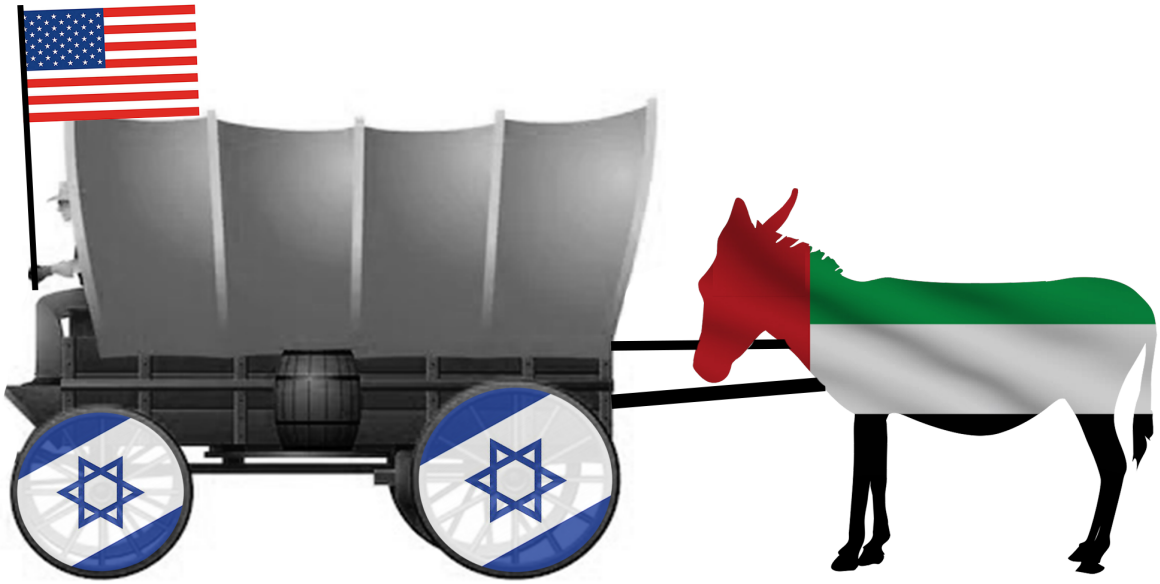

وابن زايد والأمراء الصبيان من حكام الخليج هم أكثر من يمثِّلون هذه النظرية

حزب التحرير يقترب من إقامة الخلافة الراشدة الثانية ص٩

الإسلام وقدرته على قيادة البشرية ص١٦

الإمام البخاري... نموذج يحتذى به للعلماء وحملة الدعوة ص٤٦

الوعي
جامعية - فكرية - ثقافية
مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم "١٦٦" صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥
www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

المحتويات

- كلمة *الوعي*: صفقة القرن ونظرية «وضع العربة أمام الحمار»، وآبن زايد والأمراء الصبيان من حكام الخليج هم أكثر من يمثلون هذه النظرية ٣
- حزب التحرير يقترب من إقامة الخلافة الراشدة الثانية... (لا يضرُّه من خذله ولا من خالفه حتى يأتي أمر الله، وهو على ذلك!!) ٩
- الإسلام وقدرته على قيادة البشرية ١٦
- اردوغان في الميزان(٢) ٢٤
- أخبار المسلمين في العالم ٣٠
- مع القرآن الكريم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ ٣٤
- رياض:لولا المصائب لوردنا يوم القيامة مفاليس (٢) ٤٢
- حدائق: الإمام البخاري... نموذج يحتذى به للعلماء وحملة الدعوة. ٤٦
- كلمةأخيرة :بعد الإعلان عن الاتفاق الإماراتي - (الإسرائيلي): جامعة الدول العربية تعلن ما كانت تخفيه من خيانة للقضية الفلسطينية ٥١

العدد
٤٠٨
السنة الخامسة والثلاثون
محرم ١٤٤٢هـ
أيلول ٢٠٢٠م

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	١$ أميركي
باكستان	١$ أميركي
أستراليا	٢,٥$
أميركا	٢,٥$
كندا	٢,٥$
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

«صفقة القرن»: ونظرية «وضع العربة أمام الحمار»

وابن زايد والأمراء الصبيان من حكام الخليج هم أكثر من يمثلون هذه النظرية

من المعلوم أن الصفقة تبرم عادة بين الأطراف ثم يجري التعامل بحسبها، وأن الاتفاقية تعقد ثم يجري الالتزام ببنودها، إلا «صفقة القرن» هذه، فإنها وإن كانت لا تختلف عن سابقاتها من اتفاقيات الخزي والعار من حيث تكريس وتشريع الاحتلال ومزيد من السطو على الأرض؛ ولكنها تختلف عنها أنها يُعمل على تنفيذ بنودها قبل أن تعرف هذه البنود وتقرَّ في اتفاقية عار جديدة تحت هذا الاسم. وترامب أخذ قرار الاعتراف بالقدس عاصمة لـ(إسرائيل) ونقل السفارة الأمريكية إليها، ووافق على ضم أجزاء من الضفة وغور الأردن إليها وغيرها من القرارات قبل أن يجري الاتفاق على أي شيء بشأنها، ومن المعلوم أن أي اتفاقية تقتضي وجود طرفين... فأين الطرف الآخر؟

نعم، إنه بعد أن أعيا حل قضية فلسطين الجميع، وأيِست أمريكا هي وكل المجتمع الدولي من حل قضية فلسطين على الطريقة المعهودة، وأيِست من المسلمين من أن يهضموا أي حل من خارج دينهم؛ وأيِست من الحكام من أن يقنعوا شعوبهم بالحلول الأممية... إذًا فلتكن صفقة الأمر الواقع. ولتسر بشكل معكوس يخالف نظام الأمور، وهو «وضع العربة أمام الحمار» لتجرها إلى الوراء لا إلى الأمام؛ وكان ابن زايد أكثر من يمثل هذه النظرية بإعلانه التطبيع الكامل مع يهود قبل غيره، ويتم تداول الحديث على أن هناك آخرين من مثله من أشباه الحكام في الخليج ينتظرون أن يُضموا إليه ليكون سوقها إلى الهدف الذي رسموه محكمًا؛ ولكننا نقول لهم إنَّ أمثال هؤلاء أينما يوجههم صاحبهم لا يأتون بخير... هكذا هي الأمور بكل بساطة، الاعتماد في هذه الصفقة على حكام المسلمين العملاء الوضعاء الرخيصين، ومن ثم فرض ذلك عل المسلمين فرضًا. الفارق الوحيد بين هذه الصفقة وبين ما سبقها أنها صفقة مع حكام، وليس لأحد رأي غير ما تقرره أمريكا و(إسرائيل). وهي للتنفيذ فحسب، ولن يكون للمسلمين، ولا حتى لأهل فلسطين رأي فيها، وما على الجميع إلا أن ينقادوا لها.

إن الإعلان عن هكذا نوع من الاتفاقيات إنما يعبر عن وجود فشل ومأزق لم تستطع أمريكا تجاوزه إلا بهذه الطريقة. وإن الإعلان عنها بهذه الطريقة لا يمكن فصله عن محاربة الإسلام السياسي الذي بات يشكل حجر الزاوية في السياسة الدولية لأمريكا في المنطقة، والذي بات العائق الأكبر أمام مصالحها. وهي لم تستطع حتى الآن القضاء عليه بالرغم من أن في يديها أوراق اللعبة كلها، لأنه متغلغل في الرأي العام لدى المسلمين، وهو يشكل حالة من الوعي العام لديهم لدرجة لا يستهان بها، والذي لا تقدِّر أمريكا فاعليته. بل إن ما تعطيه أمريكا من دور قذر لكل من حكام إيران، وتركيا والسعودية، وهي الدول الأكثر ادعاء أنها تمثل المسلمين. فإنه يقوي هذا

الوعي العام ولا يضعفه. فحكام السعودية اليوم مثلًا هم عند المسلمين في الحضيض، وليسوا هم وحدهم، بل مع العلماء الذين يتبعونهم في مواقفهم. إذًا ما زال للمسلمين مواقف حية تخفض وترفع، وليس كما تظن أمريكا أنهم سيكونون تبعًا لحكامهم أو تبعًا لقراراتها. وأما إيران فإنها بمواقفها العدائية للمسلمين وبسبب تقاطعات المصالح المشتركة الكثيرة مع أمريكا في نظرهم في كل من أفغانستان والعراق واليمن وسوريا ولبنان، أصبحت عدوة للمسلمين، وعداء المسلمين لها عداء حي، يعني أن الأمة تتربص بإيران وتريد أن تنتقم منها لما تفعله بإخوانهم ويعتبرونه لمصلحة أمريكا عدوتهم. وحتى أردوغان فإن المسلمين يسجلون عليه الأخطاء الشرعية القاتلة، وهو إن استطاع أن يغش المسلمين بعض الوقت فإن هناك من يترصد أخطاءه المميتة ويفضح دوره، ويظهر لدى فئة واعية واسعة من المسلمين وعي عام على ما يفعله، واستغلاله للبسطاء من المسلمين هو محل انتقاد وتذمر واستهجان واتهام له لدى الواعين منهم، وسينتهي مثله مثل غيره إلى مزبلة التاريخ. حتى ما تقوم به أمريكا من فتح باب اضطهاد المسلمين في كل مكان من العالم يجعل المسلمين يصحون أكثر على دينهم. وبمعنى آخر إننا لسنا أمام أمة ميتة، بل نحن أمام أمة حية تكمن فيها كل مقومات القوة، وهي تنتظر بشوق لتأخذ دورها من جديد في الحياة.

وقضية فلسطين هي من أهم قضايا هذه الأمة الحية بدينها، والتي لن تستطيع لا «صفقة القرن» ولا مهرجها ترامب، ولا حميره الذين يسخرهم أن يفرضوها على الأمة. نعم يستطيع أن يفرضها على الحكام، وأن يجعلهم يقفون معه جهارًا نهارًا (أصلًا هم متى لم يكونوا كذلك) ولكن هذا لن يغير عند المسلمين شيئًا. وهذه الصفقة تعتبر من أفشل الصفقات والاتفاقيات. ولن يحصل فيها إلا سلام مزعوم، واليهود يعرفون ذلك، ولكنه تطبيل وتزمير فارغين، واستحمار واستغلال لأموال أشباه الحكام في الخليج الذين يسرقون أموال الأمة من النفط ليضعوها في جيوب اليهود، وما أدراك ما يهود، عبَّاد المال،وأخسُّ شعوب الأرض.

إن قضية فلسطين منذ نشأتها هي بالنسبة للغرب ويهود قضية استعمارية قائمة على شراكة بينهم، هي خنجر مسموم مغروز في صدر الأمة ليبقى بالنسبة إلى الغرب عنصر إضعاف واستنزاف مستمر للمسلمين... أما بالنسبة للمسلمين فهي قضية عقائدية جهادية بامتياز، ولا تحلُّها عندهم قرارات أممية ولا اتفاقات خيانية؛ لذلك لم ولن يتنازل المسلمون عن شبر منها، وهي لم تتقدم خطوة واحدة في ساحة الإسلام والمسلمين، نعم، إن قضية فلسطين هي قضية إسلامية أولًا، ثم هي قضية المسلمين، كل المسلمين، الذين عليهم أن يطبِّقوا أمر ربهم في الحفاظ على إسلاميتها ثانيًا، ثم هي قضية الحكام الذين يختارهم المسلمون على أساس الحكم بالإسلام بوصف هؤلاء الحكام اختارتهم الأمة وأنابتهم عنها في تطبيق شرع ربها، وليس هؤلاء الحكام الخائنين لله ولرسوله ولدينه وللمسلمين والذين اختارهم الغرب ليكونوا أمناء مشاريعه ونواطير مصالحه.

ثم إن المسلمين لديهم تصور واضح من دينهم عن يهود منذ موسى عليه السلام إلى قيام

الساعة، وماذا سيحل بهم، وكيف ستكون نهايتهم واستئصال دولتهم من الوجود على أيدي المسلمين بوصفهم مسلمين لا بأي وصف آخر. فالله سبحانه قد ذكر عنهم فقال: ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ﴾ أي قلنا من بعد موسى لبني إسرائيل اسكنوا الأرض، أي مبعثرين ومشتتين، ليس لهم مكان محدد ولا وطن قومي يعيشون فيه، فكان لهم في كل بلد شرذمة قليلون يعيثون فيها فسادًا وإفسادًا، فيقوم أهل تلك البلاد وحكامهم بسومهم سوء العذاب بين الحين والحين، نتيجة إفسادهم، وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ وهذا ما شهد عليه التاريخ فعلًا حيث كان ينالهم من النَكال والعذاب والتشريد والقتل على يد مختلف الأمم والدول التي كانوا يعيشون فيها كأقليات مفسدة متهمين إياهم بزرع الفساد وبذر الشقاق ونشر البغاء وأخذ الربا وأكل أموال الناس بالباطل وتأريث الحروب... فعندما كانوا متفرقين كان ينزل عليهم العذاب من الدول التي يعيشون فيها، وليس الاستئصال. ولكن لما أراد الله سبحانه أن يستأصلهم من الوجود قضى بجمعهم في مكان واحد، في دولة، في كيان واحد حتى يتم استئصالهم فيه، وفي هذا ذكر الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ وجعل لهم علوَّين يفسدان به. فالعلو الأول المفسد كان القضاء عليهم بعباد مؤمنين لله أولي بأس شديد بقوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ وقد حصل هذا زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وبعد العلو الأول والإفساد الأول لم نسمع عن اليهود إلا أنهم متفرقون متشرذمون تمتد إليهم أيدي الدول تسومهم سوء العذاب، وكان من أبرز ذلك ما فعله هتلر بهم نتيجة إفسادهم لشعبه. أما العلو الثاني المفسد فهو في هذا الزمن الذي تجمع فيه اليهود بإعلان دولة نجسة في أرض فلسطين المباركة؛ وكان ذلك بحبل من كل دول الكفر وبقيادة بريطانيا، واليهود إن ظنوا أنهم قد حققوا لأنفسهم وطنًا قوميًا يجمعهم ويحميهم، ولكنهم لا يعلمون أن وراء ذلك إرادة من الله قضت بتجمعهم لاستئصالهم. وهذا العلو الثاني المفسد لليهود ينتظر عباد الله المؤمنين ليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وذلك بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ۝٧﴾

فاليهود قد حكم الله عزَّ وجلَّ بأنهم سيتجمعون وذلك لأنه سبحانه يريد استئصالهم وزوال دولتهم؛ لذلك نقول لهم اعملوا ما شئتم فإن اليوم الموعود، سيكون هو اليوم المشهود، يوم استئصالكم، وهو لم يعد متأخرًا، وينتظره المسلمين بفارغ الصبر، وسيكون على أساس الإسلام وبيد مسلمين عباد لله، كما بشَّر رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقاتلكم اليهود فتسلَّطون عليهم، ثم يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله**» وسيكون ذلك في زمن خلافة موعودة وعدنا إياها الرسول ﷺ بقوله: «**ثم تكون خلافة على منهاج النبوة**» والتي سيكون لها شأن بأن تحكم العالم مشرقه ومغربه بإذن

ربها، وتدعو إلى صراط الله العزيز الحميد، وذلك بقوله ﷺ فيما رواه مسلم عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**» ولكن ليس لنستعمر الشعوب ونظلمها وننهب خيراتها، كما يفعل الغرب، بل لإخراجهم من ظلمات استعباد البشر للبشر إلى أنوار الهداية الربَّانية، من أجل إدخال الناس في دين الله أفواجًا، من أجل أن تكون كلمة الذي كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا... هذا وعد من الله غير مردود، وغير مكذوب، وإن غدًا لناظره قريب.

ولقد أحببنا أن نضيف إلى كلمة الوعي هذه ما جاء على لسان الشيخ محمد متولي الشعراوي (رحمه الله) في تفسير آيات الإسراء، فيما يتعلق بزوال دولة (إسرائيل)محاضرةً في فيديو، ونحن نُفَرِّغُه (ننزله مكتوبًا) مع مراعاة اختلاف اللهجة المحلية التي كان من عادته رحمه الله استعمالها في دروسه، واستعمال الفصحى ما أمكن. وبالله التوفيق. يقول الشيخ:

«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي من بعد موسى ﴿لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ﴾ يقول: إذا سمعت واحدًا يقول لك: اسكن، يبقى عليه أن يحدد لك مكانًا من الأرض، إنما يقول اسكن الأرض، طيب، ما هو قاعد في الأرض، إنما يقول لك اسكن مثلًا بور سعيد، اسكن القاهرة، اسكن مصر، اسكن الأردن، فحينما يقول لك اسكن في كذا يبقى عليه يحدد لك مكان السكن، انما عندما يقول لهم اسكنوا الأرض يبقى معناها إيه؟ معناها أنهم سيظلون مبعثرين مقطَّعين في الأرض أممًا، ولن يسكنوا في مكان محدد، ولن يكون لهم وطن قومي. وهذا الذي كان: كل بلد يوجد قليل منهم، والبلاد التي هم فيها قليل يشكُّون باليهود ويتقلَّبون عليهم، ويقوم عليهم هذا يقتل فيهم؛ ولذلك يقول الحق سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي أعلمَ، يعني وإذ أعلم ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب. إذًا هم سيبقون خميرة عجننة إلى يوم القيامة، وإنما هي خميرة إهاجة للإيمان وإهاجة للخير.

ويقول الشيخ: ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ﴾ وقد صدق، فإن الله قطَّعهم في الأرض أممًا، وسيبقون مبعثرين كذلك، ليس لهم وطن قومي؛ ولكن يأتي قوم، وهم جنود من جنود الباطل يقولون: نعمل لهم وطنًا قوميًا، ويبتدئون بعمل وطن قومي لهم، ويستقرُّون على أن يعملوا لهم وطنًا في فلسطين، وعملوا لهم وطنًا، نحن نظن أن هذا نكاية فينا. لا، إن الله حين يريد أن نضربهم الضربة الإيمانية من جنود موصوفين بأنهم ﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾ لا يستطيع الإسلام أن يجابههم في كل بلد من بلاد الدنيا، أي في الأرض جميعها؛ لكن عندما أراد الله أن يضربهم أتت عندهم فكرة التجمع ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ التي فيها ﴿لِيَسُٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ﴾ ماذا يعمل ربنا من

أجل ﴿ لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ ﴾ قال: ﴿جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا﴾يعني جمعناكم في مكان من أجل أن تكون الضربة موجهة لهم؛ لأن الإسلام لا يقدر أن يواجه العالم كله، ويروح يعمل حربًا في كل بلد لهم فيها جالية، أو لهم فيها حارة، أو لهم فيها حي... إذًا، ففكرة التجمع التي نادى بها بلفور، وأيَّدتها بريطانيا، وأيَّدتها أمريكا، وأيَّدتها كل الدول المعادية للإسلام، كانت من أجل خدمة قضية الإسلام. ما هي هذه الخدمة؟ إنهم بعدما كانوا مبعثرين يسكنون في الأرض جميعها، ولا نستطيع أن نتتبعهم في كل الأرض، يقول: نأتي لكم بهم هنا كلهم ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا﴾.

نحن الآن مع اليهود في مرحلة ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ﴾ ومتى تنتهي هذه الكرَّة، حين نعود ثانيًا عبادًا لله، فإن شئتم فأطيلوها، وإن شئتم فقصِّروها، وادخلوا المسألة على أنها أمر ديني، ولا تأخذوها على أنها أمر عربي، ولا أمر سياسي... كلَّا، ادخلوها إيمانيًا إسلاميًا، وذلك لا يكون إلا إذا كنا جميعًا عبادًا لله، فإذا كنا عبادًا لله لن يتمكَّنوا منا. الله سبحانه وتعالى حينما يتكلم بقضية قرآنية، لا بد من أن تأتي القضية الكونية مصدقة لها، ولو استمر الأمر من دون كَرَّة من اليهود علينا نحن، ونحن قد ابتعدنا عن منهجنا، وأصبح كلٌّ يتبع هواه، كانت القضية القرآنية لا تنفع؛ ولذلك بعض العارفين الذين نعتقد قربهم من الله حينما أُخبر أن اليهود دخلوا بيت المقدس سجد لله. فقلنا أتسجد لله على أن دخل اليهود بيت المقدس. فقال: نعم، صدق ربنا؛ لأنه إذا كان يقول سبحانه: ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ أيكون دخول ثاني مرة إلا إذا كان خروج أول مرة؛ فيجب أن يحصل ذلك، فكأنه هو يحمد ربنا على أن قضايا القرآن الكونيات تؤكدها. ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ﴾ ليس لأنهم يهود لا نعطيهم الكرَّة؛ ولكن لأننا لسنا عبادًا لله جاءت الكَرَّة. ﴿ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ الكلام بخاطب اليهود، وانظر إلى الدقة في الكلام ﴿ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ ﴾هم أغنياء جدًا، هم أصحاب المال ﴿وَبَنِينَ﴾ كلهم في الجيش ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا﴾ ما هو النفير؟ أولًا النفير هو ما يستنفره الإنسان لنجدته؛ لأن قوة ذاته قاصرة عن الفعل. هؤلاء هل لهم قوة ذاتية لوحدهم أو وراءهم... وراءهم أقوى الدولتين العظميين. يبقى أمددناكم بأموال صح، وبنين صح، وجعلناكم أكثر نفيرًا. ثم بعد ذلك يُحكم الله قضيته ويقول لليهود:﴿ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ ﴾ وهل تستمر الكرَّة يا ربي. كلَّا ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾كأننا سنتنبَّه من الألم ونرجع عباداً لله، وكذلك نحن نلاحظ أن البعث الإسلامي والوعي الإسلامي ابتدأ في هذا الوقت يكبر، فعندما سنكون عبادًا لله سنقول: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾بعد الكرَّة عليهم، ما هو أشرف شيء فيهم؟ الوجه فإنه سيساء. وقوله: ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ ﴾ في المرة الأولى، لم يأتِ الربُّ على سيرة المسجد ولا دخول المسجد. اِقرأ: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ

مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ، فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝﴾ فقوله: ﴿وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾دليل على أن المرة الأولى كان فيها دخول. وهذا الدخول كان في الامتداد الإسلامي في عهد عمر، لما دخلنا المسجد؛ ولكن لما دخلنا المسجد لم يكن نكاية في (إسرائيل)؛ لأن المسجد أيامها ما كان تابعًا لها، بل كان تابعًا للدولة الرومانية. فدخولنا في أول مرة لم يكن نكاية فيهم. إنما هو ذكر في المرة الثانية التي ستبقى في (إسرائيل). إذًا ﴿لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ يبقى الكرَّة ستخرج من المسجد وهذا الذي حصل، الكرَّة التي لهم خرَّجتنا من المسجد؛ ولكن سياتي وعد الآخرة فنسوء وجوههم وندخل المسجد إن شاء الله كما دخلناه أول مرة. وجاء بالمسجد هنا ولم يأت بالمسجد هناك لأن دخول المسجد هناك لم يكن إذلالًا لليهود؛ لأنه كان تابع المسيحية، تابع الدولة الرومانية. وقوله: ﴿وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾كأنه ستمر فترة يبنون ويعلَون فيها، ونحن سنتبِّر الذي علوه، لازم تمر مدة يتبرون يدمرون ويهلكون، وهذا ما هو ما حاصل وإن شاء الله نحن في انتظار ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ وانتظار وعد الآخرة في أيدينا، وربنا جاعلها وعدًا شرعيًا إن عدنا عبادًا لله. وكما كان في المرة الأولى سنسوء وجوههم وسندخل المسجد كما دخلناه أول مرة وسنتبِّر ما علوا تتبيرًا. والحمد لله رب العالمين.

إن أجمل ما في قضية فلسطين، أنها تمثل للمسلمين قضية عقائدية بامتياز، ذكرها الله سبحانه بتفصيل يجعل فيها معالم الصراع بين الحق والباطل هو القائم الذي لا يتغير ولا يتبدل، ورتب عليها أحكامًا، وجعلها بشرى، وربطها بالإيمان ربطًا لا ينفصل، وقرر حقائق ووقائع ستحدث ستجعلها تسير باتجاه أن تكون الغلبة فيه للمسلمين بوصفهم مسلمين عباد لله، لا بأي وصف آخر، فاليهود أراد الله أن يشتتهم فتشتتوا، وتشتتهم يحميهم من الزوال لأن بعثرتهم في العالم لا يمنع عنهم أن يبعث الله عليهم من يسومهم سوء العذاب،ولكن لما كان الله يريد أن يقضي عليهم خرجت عندهم فكرة بناء وطن قومي لهم يتجمعون فيه، حتى إذا تجمعوا أمكن بعدها القضاء عليهم بخلاف ما لم يكونوا متفرقين في الأرض. فاليهود والغرب عندما يفكرون بالوطن القومي لهم فهذا تخطيط منهم ضد أنفسهم. والجميل في آيات الإسراء التي تتحدث عن زوال دولة (إسرائيل) أنها تعطيهم الفرصة تمامًا كالمسلمين ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾ والمسلمون كذلك فطالما أنهم عباد لله فإنهم سيقضون على يهود، ولن يتمكنوا من ذلك بغير هذا الوصف. ولكن الناحية الغيبية بقيت سائرة باتجاه أن اليهود سيكونون مفسدين في الأرض وسيقضى عليهم، والمسلمون سيعودون إلى دينهم وعندها سيقضون على يهود. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

حزب التحرير يقترب من إقامة الخلافة الراشدة الثانية...
(لا يضرُّه من خذله ولا من خالفه حتى يأتي أمر الله، وهو على ذلك!!)

الكاتب: شايف الشرادي - اليمن

يأتي هذا العدد في الشهر المحرم من أول العام الهجري ١٤٤٢، ولا يخفى عنا ماذا يعني بداية هذا التقويم، ولا تجدده في كل عام، ولا يخفى عن المسلمين أن حزب التحرير لا يدانيه في الاهتمام أحد بإقامة الدين، عن طريق إقامة دولة الخلافة الراشدة، تلك الخلافة التي مازال يتآمر عليها كل عدوٍّ مضلٍّ مبين لله ولرسوله وللمسلمين، ويتابعهم في ذلك من هذه الأمة كل مريض ملوَّث من حكام عملاء، وعلماء زائفين لا يحسبون حسابًا لإيمان بالله ولا لليوم الآخر... وإن الأمة بالرغم من كل ما تعانيه، لا يردها صادٌّ ولا رادٌّ عن مطالبتها الحكم بالإسلام، فإنها ماضية لأمر الله، ماضية مع حزب التحرير نحو تحقيق وعد الله بإقامة الخلافة الموعودة، التي بات مشروعها جاهزًا ينتظر الفرج والتأييد والنصرة من الله سبحانه... فحزب التحرير منذ قام يعمل بجد ومضاء، ورأسماله الوحيد الالتزام بأمر الله فحسب، وعلى طريقة رسوله الكريم، لم يَحِدْ عن ذلك قيد شعرة؛ لذلك كان يقترب كل يوم من النصر، فمع كل يوم يمضي من عمر دعوته يقترب معه الوعد الحق، نقول ذلك ولا نزكي على الله أحدًا. وهذا المقال أرسله أحد الإخوة الكرام في مناسبة العدد الخاص الماضي، وجاء نشره في هذا العدد في مناسبة بداية العام الهجري الجديد، والذي نسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون فيه النصر قد اقترب حتى وصل إلى موعوده.

نشأ **حزب التحرير** استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى القائل: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٤﴾ وهو يعمل بين الأمة ومعها لتتخذ الإسلام قضية لها، وليقودها لإعادة الخلافة والحكم بما أنزل الله إلى الوجود... **فحزب التحرير** هو حزب مبدئي، يعمل لإقامة فرض الخلافة بشكل يبرئ ذمة من يعمل معه، وقد كان مبصرًا لطريقته، هاضمًا لفكرته، فاهمًا لقضيته، واعيًا على ما يحاك من مؤامرات على أمته، ساعيًا إلى إقامة نهضة صحيحة يقود بها العالم قيادة سياسية وقيادة فكرية، من خلال دولة الخلافة الإسلامية الراشدة هذه. وقد كان الحزب في مسيرة عمله تقيًا يلتزم بالحكم الشرعي فحسب، نقيًا مبعدًا عن نفسه التأثر بكل ما هو ليس بشرع من هوى أو مصلحة أو تأثر بأي ثقافة أخرى، مخلصًا في عمله لله وحده بحيث لا يشرك به ولا معه أحدًا، وقد خرجت اجتهاداته كلها من أصول شرعية منضبطة، وهو يسعى بكل

جد أن يكون صادقًا في عمله لا تناقِض أفعالُه أقوالَه، وينطبق عليه ما انطبق على أصحاب الرسول ﷺ في مكة الذين أقام فيهم الدين وهاجروا معه إلى المدينة؛ حيث قال الله تعالى في وصفهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾، ويسعى لأن يكون هو تلك الطائفة المنصورة بإذن الله، التي لا يضرُّها من خالفها ولا من خذلها حتى يأتي أمر الله وهو على ذلك. تلك الطائفة التي وردت فيها عدة أحاديث للرسول ﷺ نقتصر منها ما رواه البخاري ومسلم وأحمد عن معاوية قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**». وقد تحقق لهذه الطائفة وصف الرسول ﷺ لهم ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء**». وخرَّجه الإمام أحمد وابن ماجة من حديث ابن مسعود بزيادة في آخره: قيل: يا رسول الله، ومن الغرباء؟ قال: «**النُّزَّاع من القبائل**» أي من القبيلة الرجل والرجلان. وأخرجه الآجُرِّيُّ، وصحَّحه الألباني، وعنده: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «**الَّذين يُصْلِحون إذا فسد الناس**». وخرَّجه أحْمد والطبراني من حديث عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «**طوبى للغرباء**» قلنا: وما الغرباء؟ قال: «**قوم صالحون قليل في ناس سوء كثير، مَنْ يَعصيهِمْ أكثَرُ مِمَّن يُطيعهم**». وصححه الألباني. فالغرباء المذكورون في هذه الأحاديث هم الذين يَصلحون إذا فسد الناس، وهم الذين يُصلحون ما أفسد الناس من السُّنَّة، وهُم الذين يفِرُّون بدينهم من الفتن، وهم النُّزَّاع من القبائل؛ لأنهم قَلُّوا، فلا يوجد في كل قبيلة منهم إلا الواحد والاثنان، وبهذا فسر الأئمة هذا الحديث.

وإننا عندما نعمد إلى مطابقة هذه الأحاديث على الواقع نرى أنها أكثر ما تنطبق على **حزب التحرير**، ونرجو من الله أن نكون على حسن الظن هذا، وأن نكون على مستوى المهمة الجليلة المنوطة به، وإنه لشرف كبير لنا أن تكون إقامة الخلافة على منهاج النبوَّة التي بشر بها الرسول ﷺ أنها تكون في آخر الزمان على يديه.

هذا وقد مكَّن الله لهذا الحزب أن يكون عالمي الانتشار بشكل يتناسب مع عالمية فكره المبدئي، وقد كانت قيادته ومنهجيته وتبنيه وثقافته واحدة في كل مكان، ولاتربط بين أعضائه إلا الرابطة الإسلامية وحدها، بل هو يحارب جميع الروابط الفاسدة كالرابطة الوطنية والقومية وجميع الروابط الاستعمارية، فهو لا يأخذ منهاجه من غير الإسلام، ولا يحركه إلا أمر الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

إن **حزب التحرير** هو الرائد الذي لا يكذب أهله، وهو يعمل لتحقيق غايته باستئناف الحياة الإسلامية بإقامة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، وهو يواصل النهار بالليل لتحقيق تلك الغاية بإيمان راسخ لا يتزعزع بأنَّ وعد الله لهذه الأمة بالنصر والتمكين

والاستخلاف لن يتخلَّف، وسيأتي في موعده الذي حدَّده الله عزَّ وجلَّ.

وإن **حزب التحرير** كما ذكرت الأحاديث، وجد فعلًا من يخالفه ويخذله ويتقصد ضرره، ولكن بفضل الله وحده لم ولن يضرَّه ذلك. فهناك من خالف منهاجه الذي ركب سفينة الدعوة ودعا وما زال يدعو إلى الاستمرار في تطبيق النظم الوضعية البالية بالرغم من تساقط أفكارها وبطلان سحرها وأفول نجمها وتحقق فشلها... وهناك من خالفه بتشويه الخلافة وإظهارها بشكل مقزِّز تجعل الناس يفرُّون منها ولا يفِرُّون إليها؛ فقد سقط هؤلاء ولم تسقط الخلافة من نفوس المسلمين لأنها أعمق تجذرًا مما خُطِّطَ له، فمثل هذا الخذلان والمخالفة **لحزب التحرير** لم يضرَّه... وكذلك فإننا نرى إصرارًا من الغرب على محاربة الإسلام السياسي (الإسلاموية) ويتخذون من إردوغان نموذجًا لها ليضلَّ الناس بغير علم ولا هدًى ولا كتاب منير، فيطرح إسلامًا ما أنزل الله به من سلطان، معلنًا علمانية الدولة وإيمان الأفراد، ومنسقًا مع الغرب وخاصة أميركا في مخططاتها وتحالفاتها العدوانية الدولية ضد الإسلام في أفغانستان والعراق وسوريا... مثله مثل غيره من سائر الحكام الخونة لدينهم... وهناك غيرهم مما نراه من نكث ومخالفة وتخذيل لعمل الحزب. وهذه كلها أخبرنا الرسول ﷺ أنها لن تضره، بل إن الله ظاهِره وهو على هذه الحالة من الاستضعاف، ولم تأتِ الأحاديث لتخبرنا من أن حالة من الحالات المذكورة هي التي تظهر ويكون الحق بجانبها، أو أن الطائفة أو الأمة أو ثلة الخير هذه قد أدبرت... بل على العكس من ذلك، فقد رأينا الأحاديث المختلفة تتحدث عن الطائفة المنصورة الواحدة، وتتحدث عن مواصفات أفرادها «**النُّزَّاع من القبائل**» وعن عملها «**قائمة بأمر الله**»، وعن صبرها «**مَنْ يَعصيهِمْ أكثَرُ مِمَّن يُطيعهم**» تحدث المادح لها، الحريص عليها، والذائد عنها من أن أحدًا لن يضرها، لا من مخالفيها ولا من خاذليها حتى يأتي أمر الله، ثم يقرِّر ويطمئِن الأمة على أنهم ظاهرون، أي مؤيدون بالنصر من عنده. وأن الوعد بإقامة الخلافة سيكون على أيديهم بإذنه تعالى.

نعم، ونقول بكل اطمئنان إن حزب التحرير في تقدم مستمر، وهو يقترب من هدفه وتحقيق غايته أكثر من أي وقت مضى. ومن دلائل اقتراب **حزب التحرير** من إقامة الخلافة الراشدة الثانية:

١- توفُّر عناصر قوة الحركة السياسية التي تعمل للتغيير الحقيقي في حزب التحرير: وهذه العناصر تتمثل بما يلي:

أ- **قوة الفكر الذي تحمله هذه الحركة.**

ب- **قوة بناء شباب الحزب الذين تتمثل فيهم هذه الحركة.**

ج- **قوة وجود وتأثير الحركة في الأمة.**

فالحركة السياسية العاملة للتغيير الحقيقي هي التي تستهدف إنهاض الأمة وتغيير المجتمع، وهي تعتمد على قواها الذاتية لأخذ الحكم، وهذه تتشكَّل من قواها الذاتية ومن القوى التي تناصرها من أبناء أمَّتها؛ فيكون تسلمها للحكم عن طريق أمتها صاحبة

السلطان التي تملك إعطاءه ومنحه أو سحبه وحجبه. وهذه إن لم تكن على هذه الصورة فإنها تستهدف تغيير الأشخاص ولا تستهدف تغيير الأوضاع، وليس في ذلك نهضة أمة ولا تحرير بلاد ولا توحيد شعوب... وهذه القوى متوفِّرة في **حزب التحرير**؛ فالفكر هو أساس الحركة، وهو سر حياتها وسر قوتها. وهو قوة الجذب الذي يربي الشخصيات، وينشئ رجال الدولة، ويستقطب الأنصار.

وأما قوة شباب الحزب فتتمثل في قوتهم الفكرية، وقوة شخصياتهم الإسلامية، واستعدادهم للتضحية بكل ما يملكون لتحقيق غايتهم وجهوزيتهم لتلبية النداء للعمل في أي وقت.

وأما تأثير الحزب في الأمة فهو معلوم غير مجهول، فعند قيامه بالتصدي لمشاريع الكفر ومؤامراتهم يستجيب عشرات الآلاف من أبناء أمته معه، كما حدث في فلسطين عند تصدِّيه لاتفاقية السيداو أو صفقة القرن وغيرها، وهو دليل على مدى تأثير الحزب في الأمة ومدى تأثرها به وبفكره وسرعة استجابتها للمشاركة في أعماله.

٢- سير حزب التحرير في الطريق الشرعي المتأسِّي بطريقة الرسول ﷺ الموصِلة إلى الهدف:

أما أن **حزب التحرير** يسير في الطريق الشرعي المتأسِّي بطريقة الرسول ﷺ الموصلة إلى الهدف، فذلك واضح من شدة تمسكه بطريقة الرسول ﷺ فهو لم يحِد عنها قيد أنملة؛ وذلك باتباع نفس خطواته، والسير على منهاجه، والتقيُّد بطريقته ذات المراحل الثلاث:

المرحلة الأولى، وهي مرحلة التأسيس والبناء وإعداد أفراد الحزب فكريًا ونفسيًا لتكوين شخصياتهم الإسلامية ليخوضوا غمار الصراع الفكري والكفاح السياسي لإحداث التغيير الحقيقي الذي يهدف إلى تحرير البشر من العبودية لغير الله لكي تكون الحاكمية المطلقة لله رب العالمين وحده.

المرحلة الثانية، وهي مرحلة التفاعل مع الأمة بالصراع الفكري والكفاح السياسي لإيجاد الرأي العام المنبثق من الوعي العام، ولأخذ قيادة الأمة لتحمل مشروع الخلافة من أجل إقامتها على أنقاض الأنظمة الرأسمالية القائمة.

المرحلة الثالثة، وهي مرحلة استلام الحكم التي يعقبها تطبيق الإسلام في جميع شؤون الحياة، وحمل رسالة الإسلام إلى العالم بالدعوة والجهاد.

٣- تقدم مشروع الخلافة الذي يحمله حزب التحرير كمشروع نهضوي وتقهقر مشاريع الكفار:

وأما تقدم مشروع الخلافة الذي يحمله حزب التحرير وتقهقر مشاريع الكفار فيمكن تلمسُّه من خلال مسيرة حزب التحرير الدعوية، فقد كانت دعوته لإقامة الخلافة عند نشأتها مستهجنة عند أبناء الأمة... ثم انتقلت إلى مرحلة التقبُّل والسماع؛ حيث بدأ الناس يستمعون لما يطرحه عليهم حزب التحرير ويستحسنون ذلك بعد أن ذهب عنهم الاستهجان وبدأ الكثير من المسلمين يدركون

أن الخلافة يمكن أن تكون حقيقة واقعية، وإن كان الوصول إليها صعبًا جدًا ويحتاج إلى تضحيات جمة... ثم انتقلوا إلى مرحلة الإقبال والاستماع؛ حيث ارتقى تفكيرهم من السماع لما يطرحه عليهم **حزب التحرير** إلى الإقبال عليه ومناقشة شبابه والاستماع إلى إجاباتهم وحضور فعالياتهم المختلفة... ثم انتقلت إلى مرحلة التأييد للخلافة ومطالبة الناس للحزب بمضاعفة جهودهم لتحقيق الغاية والإسراع في ذلك... ثم انتقلت إلى مرحلة التفاف الناس حول مشروع الخلافة ومناصرتها بشكل يقترب من الإجماع، فقد تصاعد الرأي العام المطالب بنبذ حكم الطواغيت والعودة إلى تطبيق شرع الله والسير على منهاج الإسلام. فإقبال الأمة على مشروع الخلافة في تصاعد مستمر، والتزامهم بالأحكام الشرعية المتعلقة بالفرد دليل على أن الأمة لن تقبل سوى الإسلام منهاجًا ونظامًا لحياتها.

وبالمقابل فإن ثقافة الغرب الرأسمالية وقوانينها الفاسدة تتساقط يومًا بعد يوم، فقد أصبحت في مرحلة الاحتضار رغم فرضها على المسلمين من خلال الأنظمة بالحديد والنار. وما ثورات الأمة المتجددة والمستمرَّة والتي لا يتم احتواؤها في بلد حتى تشتعل في بلد آخر كما هو حاصل الآن في لبنان والعراق والجزائر إلا دليل على إفلاس قوانين الغرب الرأسمالية المفروضة على العالم، وفي مقدمته بلاد المسلمين. وهذا كله يثبِّت تقدُّم مشروع الخلافة الذي يحمله **حزب التحرير** وتقهقُر مشاريع الكفر وسيرها نحو الاحتضار والسقوط.

٤- تمدُّد حزب التحرير ونمو جسمه رغم المكر العالمي في محاربته.

وأما تمدُّد **حزب التحرير** ونموُّ جسمه رغم المكر العالمي في محاربته، فقد أضحى واضحًا لكل ذي عينين. إن نشأة **حزب التحرير** كانت فقط في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، ثم بدأ يتمدَّد وينمو جسمُه ويشتدُّ عودُه حتى أصبحت جذورة في الأعماق وفروعه في الآفاق، وهو اليوم يعمل في أكثر من ٤٠ بلدًا، وهو يتوسع يومًا بعد يوم، وكل هذا رغم المكر العالمي في محاربته والمحاولات اليائسة في تشويه دعوته وملاحقة شبابه واعتقالهم. ورغم أنه ما زال يمكن أن يطلق على شبابه أنهم نزَّاع قبائل.

٥- تصدُّع التكتيم الإعلامي عن حزب التحرير رغم إصرار الكفار وعملائهم على استمراره.

تصدَّع التكتيم الإعلامي عن **حزب التحرير** رغم إصرار الكفار وعملائهم على استمراره. فمنذ انطلاقة **حزب التحرير** في حمل دعوته لاستئناف الحياة الإسلامية بإقامة الخلافة الراشدة، والتكتيم الإعلامي عليه وعلى دعوته على أشده، فقد حرص الكفار وعملاؤهم منذ انطلاقته على التكتيم الشديد على دعوته وجعلها طيَّ الكتمان، وقد حرصوا على ألا تتسرَّب فكرة إقامة الخلافة إلى عقول المسلمين حتى لا يلتفوا حولها فتسقط أنظمتهم؛ ولضمان ذلك فقد رافق التكتيم الإعلامي حملة مسعورة لملاحقة شباب **حزب التحرير** واعتقالهم؛ إلا

أن نموَّه وثباتَ شبابه وإبداعَ قيادته وإخلاصَها لله قد فرض دعوته في أوساط الأمة؛ ما جعل التكتيم الإعلامي يتصدع، ودعوة الحزب تنفذ لتصل إلى عقول وقلوب المسلمين، وتلامس أسماعهم فيتأثرون بها وأنوف الكفار وعملائهم راغمة.

ومما زاد في تصدع التكتيم الإعلامي أن **حزب التحرير** يعتمد في إيصال دعوته لأمته على جهود شبابه وإعلامه الخاص، مثل فتح المكاتب الإعلامية في كثير من البلدان التي يعمل فيها الحزب، إضافة إلى الإذاعة وقناة الواقية وإصدار جريدة الراية التي تتميز عن كل الجرائد والصحف بمقالاتها الصادقة التي تنظر إلى العالم من زاوية العقيدة الإسلامية،ومجلة «الوعي» و«مختارات» ،وكل ذلك كان له الأثر الأكبر في إيصال دعوته إلى الأمة، وتصدُّع التكتيم الإعلامي الذي فرضه أعداء الأمة على **حزب التحرير** ودعوته.

والحزب سيبقى مستمرًا، بعون الله، في عمله حتى يكسر جدران التكتيم الإعلامي، بالرغم من كل ما يُتخذ من أساليب في محاربته من مثل تشويه صورته ودعوته وقلب الحقائق لصرف الناس عنه وعن دعوته، والتفنن في ذلك عن طريق استخدام نظريات التأثير الإعلامي مثل: نظرية التأثير التراكمي، ونظرية الرصاصة القاتلة، ونظرية التطعيم، ونظرية التأثير على مرحلتين، ونظرية جدول الأعمال، ونظرية حارس البوابة، ونظرية الإشباع وغيرها من النظريات الخبيثة؛ إلا أن كيدهم سيذهب إلى تباب، وسينجح **حزب التحرير**، بعون الله، في كسر تكتيمهم الإعلامي وفضحه وإسقاطه، وسيستمر الحزب بعون الله وحده في اقترابه من إقامة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوَّة.

٦- تصاعد وتيرة رعب الكفار وعملائهم من تقدُّم مشروع الخلافة الذي يحمله حزب التحرير.

أما عن تصاعد وتيرة رعب الكفار وعملائهم من **حزب التحرير** وتقدُّم مشروعه للخلافة، فإن الكفار وعملاءِهم يدركون أن إقامة **حزب التحرير** للخلافة يعني إسقاط الأنظمة التي تحكم بقوانينهم عن طريق عملائهم، وهذا بحد ذاته تدمير للحضارة الغربية كما صرح بذلك دهاقنة الغرب محذِّرين شعوبهم من الخلافة القادمة، وما الحرب الشعواء التي تشنها أميركا وحلفاؤها وعملاؤها من الأشياع والأتباع على ثورة سوريا خاصة، وثورات الأمة عامة، إلا دليل واضح على الرعب الذي يملأ قلوب زعماء الغرب. وخوف الكفار وعملائهم من **الخلافة وحزب التحرير** يزداد اتساعه مما جعل ردود فعلهم تجاه **حزب التحرير** ودعوته وأمته تقذف بالحقد الدفين الذي يعصر قلوبهم.

٧- التزام حزب التحرير بمنهاج الإسلام والثبات عليه والصبر على الأذى من أجله.

لن تنهض الأمة الإسلامية من جديد وتعود خير أمة أخرجت للناس كما كانت من قبل إلا بتمسُّكها بالإسلام، ونبذ ما سواه وإقامة أحكامه في حياة المسلمين من خلال دولة تطبقه. **وحزب التحرير** يحمل دعوته منذ أكثر من ٦٠ عامًا، وهو ثابت عليها لم يغير فكرة واحدة

من أفكارها، وقد تحمَّل في سبيلها كل أصناف الأذى الذي شنَّه أعداء الأمة وعملاؤهم عليه، وهذا دليل اقترابه من تحقيق الهدف.

٨- إفلاس المبادئ الوضعية وتخبط أهلها وإقبال البعض على الإسلام في غياب دولته.

إن أول سمة تدل على فساد المبدأ الرأسمالي هو أنه وضعي من عقول البشر، وقد بان فشله على مستوى العالم، واكتوى الجميع بنيران جحيمه بمن فيهم أهله... وبالرغم من أن الكفار هم الذين أوصلوا عملاءهم إلى الحكم وفرضوا مبدأهم الرأسمالي العفِن في حياة المسلمين وحكموهم به قرابة قرن من الزمن، إلا أن الثورات في بلاد المسلمين اشتعلت منذ ٢٠١١م معلنة رفضهم للكفار ولقوانينهم ولعملائهم. هذا ويسجل إقبالاً طيب لعقلاء من الكفار على اعتناق الإسلام، وعودة كثير من أهل المعاصي من المسلمين للتمسك به دليل على اقترب موعد إقامة الخلافة.

٩- تحقيق حزب التحرير لشروط النصر يؤهله لتحقيق النصر على يديه بإذن الله.

مما لاشك ولا ريب فيه هو أن النصر له سبب واحد، هو أنه من عند الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٢٦﴾. إلا أن هناك شروطًا للنصر لا بد من أن تتحقق ليكون من حققها أهلًا لأن ينصره الله ، ومنها الإيمان بوعد الله، وإن النصر للمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ والالتزام بشرع الله، والسعي المتواصل لإقامة الخلافة الراشدة الثانية، والتقيُّد في العمل لإقامة الخلافة بطريقة الرسول ﷺ... **فحزب التحرير** بحسب إجتهاده مؤهَّل لتحقيق شروط النصر على يديه بإذن الله تعالى.

١٠- ارتفاع وعي الأمة وتأييد كثير من أبنائها لمشروع الخلافة:

لقد أصبح الرأي العام المنبثق عن وعي عام على مشروع الخلافة هو الطاغي، وتدرك ذلك دول الكفر تمام الإدراك، وتخشى منه كل الخشية. فهذه الأمة التي عمل الكفار وعملاؤهم على تجهيلها وتضليلها وإبعاد الوعي عنها قد تغيَّر حالها، فقد أصبح وعيها يرتقي يومًا بعد يوم، ومن مؤشرات ذلك أنَّ:

١- الأمة أصبحت تريد إسلامها وترفض جميع المبادئ الأخرى.

٢- الأمة تريد وحدتها وترفض التمزق والانقسام .

٣- الأمة تعرف أعداءها وعملاءهم.

٤- إفلاس المبادئ الوضعية كالديمقراطية وعدم قدرتها على حل مشاكل البشر حلًا صحيحًا.

٥- الدول الاستعمارية وفي مقدمتها أميركا في مأزق وتلاحقها الأزمات .

٦- لقد سقط الحكام في نظر الأمة وبانت خيانتهم لله ولرسوله وللمؤمنين، وتكشفت عمالتهم لأعداء الأمة.

إن **حزب التحرير** منصور بإذن الله، ظاهر بأمره سبحانه، لا يضره من خذله ولا من خالفه حتى يأتي أمر الله وهو على ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام وقدرته على قيادة البشرية

الكاتب: عبدالله القاضي - اليمن

نظرًا لهذه الدوامة الفكرية التي تتخبط فيها الأقطار الإسلامية، في مشارق الأرض ومغاربها، متأثرة بالشرق حينًا وبالغرب أحيانًا، ولكون الإسلام قد خطا خطوات واسعة في محاولة إنهاء هذه الدوامة من خلال تلك الصحوة الإسلامية المباركة، والتي جذبت أنظار مختلف الشعوب والأمم في الأرض، وبسبب أن أخطر ما يحتاج إليه الإنسان، كائنًا من كان، هو التعرف على حقيقة نفسه، وحقيقة الكون الذي يعيش فيه، وحقيقة هذه الحياة الدنيا التي يعيشها، وذلك من خلال حل شامل لتساؤلاته عن ذلك بشكل يقنع عقله وينسجم مع فطرته، ونظرًا لأن الحلول المجتزأة لم يعد يقف عندها أحد من العلماء والمفكرين الذين ازدادت الضغوط الأيدلوجية الفكرية عليهم وهم يقفون أمام مختلف الحلول التي تقدم إليهم أو تعترض سبيلهم من إسلامية وغير إسلامية؛ لذلك كله، كان حتميًا وضع هذا البيان الدقيق بأفكاره ومعالجاته لجميع جوانب الإسلام كدين وشريعة، كعقيدة وتشريعات، مع الحرص على الدراسة المقارنة بينه وبين العقائد الأخرى من رأسمالية واشتراكية شيوعية؛ وذلك ليرى كل ذي لبّ وبصيرة هذا البون الشاسع بين الإسلام وغيره، فيقول بملء فيه: لقد وجدتها، لقد وجدت الحل الشامل لجميع جوانب الحياة في الإسلام، عقيدة وشريعة، وإنه ليس لأحد بدّ من الأخذ به ما دام يطلب الحق دون مواربة ولا تعصُّب ولا تحيُّز.

فما دام سلوك الإنسان مرتبطًا بدوافعه الفطرية الموجهة بأفكاره ومفاهيمه، وما دامت دوافعه نتيجةً لجوعاته الغريزية والعضوية، وأفكاره مع مفاهيمه نتيجةً لقناعاته العقلية، فإن هذه القناعات والجوعات هي التي تتحكم في سلوكه، سواء أكان فرديًا أم جماعيًا. أما الجوعات بشقَّيها فإنها لا تتغير ولا تتبدل لدى الإنسان كإنسان، وإن تفاوتت في قوة مظاهرها واندفاعاتها، وأما الأفكار والمفاهيم فإنها تتغير وتتبدل تبعًا للحجج والبراهين التي تؤكد القناعات السابقة أو تغيِّرها وتبدِّلها.

ولا بد أن نتذكر أولًا وقبل كل شيء أن غرائز الإنسان هي غريزة البقاء وغريزة النوع وغريزة التدين. وأن لكل غريزة مظاهرها المتعددة. **فغريزة البقاء** تظهر بالدفاع عن النفس وعن البلد والأرض التي يعيش فيها أو يملكها، وحب السيادة والسيطرة، وغير ذلك من الدوافع والمظاهر. **وغريزة النوع** تظهر بالميل الجنسي بين الرجال والنساء والحبِّ الأبويِّ والأمويِّ وغيرها. **وغريزة التدين** تظهر بالميل للتقديس والعبادة والخشوع والدعاء وغيرها... وهذه الغرائز بمظاهرها يشترك فيها من حيث

الوجود الإنسان والحيوان والطير على حد سواء. وعليه فإن هذه الدوافع الغريزية والعضوية تشكل الأساس الأول لتحرك الإنسان لإشباع جوعاته؛ ولكنها تخضع لتوجيه المعتقدات والقناعات العقلية التي تحدِّد لها كيفية هذا الإشباع أو ذاك، ومدى الإقدام عليه أو الامتناع عنه. فكلما كانت هذه الأفكار سليمة راقية مناسبة للإنسان، كان ضبطها وتوجيهها للدوافع الغريزية والعضوية ساميان، والعكس صحيح. فعندما ينحطُّ فكر الإنسان تتحكم فيه الدوافع الغريزية المناسبة لهذا الانحطاط. وفي ميدان حديثنا عن الروابط الإنسانية، فإن الانحطاط الفكري يوجد بين الناس الترابط الذي تدعو إليه غريزة البقاء من خلال الحرص على الدفاع عن النفس، وبالتالي الدفاع عن المكان الذي يساعد على الحفاظ على النفس، وعن الأرض التي ارتبطت بها النفس، وعن البلد التي ترعرعت في جنباتها النفس. وهذا الترابط هو ما يسمى بالرابطة الوطنية. والملاحظ أن هذه الرابطة يشترك فيها الإنسان والحيوان والطير، وأنها لا تظهر إلا عند تعرض النفس والأرض والبلد للخطر، سواء بالهجوم أم بالاستيلاء، وتختفي بعد ذهاب هذا الخطر؛ ولذلك يمكن القول إن هذه الرابطة لا تليق بالإنسان أن يتخذها في تجمّعه سببًا طالما كانت منخفضة وعاطفية ومؤقتة.

وأما إذا كانت الأفكار التي توجه الدوافع الغريزية والعضوية ضيقة الأفق، بأن تكون غير شاملة للناس كافة، وإنما محصورة في إطار الترابط العائلي أو القبلي أو القومي، فإن غريزة البقاء تتحكم في الترابط من خلال دافع آخر من دوافعها، ألا وهو حب السيادة؛ بحيث يدفع صاحبه للعمل في سبيل أن يكون رئيسًا على عائلته أو على قبيلته أو على قومه، تبعًا لمستوى التفكير عنده. إذ كلما اتّسع تفكيره اتّسع حبّه للسيادة. فيكون سيادة لقومه على غيرهم عند أوسع مجالات هذا التفكير الضيق غير الإنساني. وبهذا توجد الرابطة القومية بين الناس، وهي رابطة تغلب عليها العصبية والهوى والمخاصمات. فتظهر عدم صلاحيتها للمستوى الإنساني، طالما كانت لا توجد الترابط الراقي بين الناس، وتعتمد على العاطفة الغريزية المتقلبة، ولا تتخذ طابع الدوام والاستقرار اللازمين للترابط البشري.

وأما إذا كانت الأفكار لا ترى سببًا للترابط البشري غير المصلحة، وأنه حيثما وجدت للإنسان مصلحة مع غيره كانت بينهما رابطة، وإذا انتفت المصلحة انتفت الرابطة معها، فإنها ستؤدي بأي تجمع بشري يقوم عليها إلى التمزق والضياع، ولا سيما أنها ستعصف بها أشكال من المساومات وتباين المصالح؛ ولذلك يلاحظ أن التجمعات المعاصرة التي تتحكم بها الأفكار المصلحية في الغرب والشرق تحرص على جعل هذه المصالح مرتبطة بأفكار مبدئية، أي مرتبطة بعقيدة ونظام للحياة يجمع بني المجتمع فيما بينهم. ولا ننسى أن مثل هذه

الرابطة المصلحية الخطرة المدمرة لكل تجمُّعٍ بشريٍّ تحركها غريزة البقاء أيضًا بحب الذات وحب التملك؛ ولذلك كانت غير صالحة لترابط بني البشر بل خطرة عليهم، كما لا ننسى أن الغرائز كلها قد تتدخل فيها.

وأما إذا انفردت غريزة التديُّن بالميل للتقديس والعبادة، ودفعت الإنسان للتديُّن دون اهتمام بالحياة وشؤونها، أي دفعته للانصراف للناحية الروحية دون أي اهتمام بشؤون الحياة وتنظيمها فإنها تكون رابطة روحية. فينصبُّ تفكير الإنسان على توجيه كل طاقاته للعبادة ويشلّ كل جوانب الحياة الأخرى. مما يحكم عليها بأنها لا تصلح للترابط بين أبناء المجتمع الواحد. كما هي العقيدة النصرانية التي لم تصلح للربط بين الشعوب الأوروبية مع أنها تعتنقها. ولا بد حتى تكون الرابطة صحيحة من أن تشمل كل بني البشر، وأن تكون ثابتة دائمة ومستقرة، وأن تقدم تنظيمًا لجميع جوانب حياة البشرية.

فأين هي هذه الرابطة الصحيحة ما دامت كل الروابط الأربعة السابقة غير صحيحة؟

وللإجابة نقول: إن المبدأ، أي مبدأ، هو العقيدة العقلية التي ينبثق عنها نظام لجميع شؤون الحياة. هذه العقيدة هي الفكرة التي توضح حقيقة الوجود من كون وإنسان وحياة، وحقيقة ما قبل هذه الحياة الدنيا، وما بعدها، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها. فإن كانت فكرة العقيدة كما في الإسلام، فإنها ترى أن الوجود مخلوق لله تعالى، وهو سبحانه المدبّر له بتدبيره، وأن الذي قبل هذه الحياة هو خالقها ومدبّرها ليس غير، وأن ما بعدها هو يوم الجزاء على ما اجترح الإنسان من أفعال حيث يُجزى إما بالجنة أو بالنار، وأن علاقتها بما قبلها، أي خالقها، هي علاقة الخلق والإيجاد والتدبير، وعلاقتها بما بعدها وهو الحساب على الأفعال والمعتقدات في هذه الحياة، هذا بالنسبة إلى العقيدة. وأما بالنسبة للنظام المنبثق عنها، فهو مجموعة الأنظمة التي تعالج جميع مشاكل الإنسان، وتبين كيفية تنفيذ تلك الأنظمة، وكيفية المحافظة على العقيدة نفسها سليمة نقية مما يحتمل أن يلحق بها من شكوك، وكيفية حمل المبدأ للناس كافة. إن صحة المبدأ أو بطلانه مرتبطة بعقيدته؛ لأنها الأساس الذي تنبثق عنه الأنظمة لشؤون الحياة. فإن صلح الأساس صلحت الأنظمة، والعكس صحيح. ولكن من أين تجيء صحة عقيدة المبدأ.

إن صحة العقيدة آتية من كونها تتفق مع فطرة الإنسان ومبنية على العقل. وإذا لم يتحقق هذان الشرطان فهي عقيدة باطلة. ومعنى اتفاقها مع الفطرة هو كونها تقرر ما في الفطرة الإنسانية من عجز وحاجة للخالق المدبر، فهي توافق غريزة التدين ولا تنكرها أو تتجاهلها. ومعنى بناؤها على العقل هو أنها غير مبنية على المادة، كما سنرى في الاشتراكية الشيوعية، ولا على الحل الوسط،

كما في الرأسمالية الديمقراطية. وإذا أتينا إلى الأفكار المبدئية لما وجدنا في عالم اليوم غير مبادئ ثلاثة هي: الرأسمالية الديمقراطية في العالم الغربي بشكل خاص كوطن أم، والشرقي بشكل عام كوطن تابع، والاشتراكية الشيوعية، والإسلام. ولكي تتضح لنا قدرة الإسلام على قيادة البشرية فكريًا لابد من تناول الفروق بين هذه المبادئ الثلاثة من أربعة جوانب وهي:

١- أساس عقائدها.

٢- النظرة للإنسان ومُثُله العُليا، والمجتمعُ وقِيَمُه وتنظيمُه وتنفيذُ أنظمته.

٣- العقيدة التي تنبثق عنها أنظمتها، ومن حيث مقياس أعمال الإنسان في الحياة.

٤- طريقة تنفيذها للنظام الذي ينبثق عن عقيدته، ومدى موافقتها لفطرة الإنسان، وبنائها على العقل.

أولًا: أساس عقائد المبادئ الثلاثة:

لنبدأ بأخطر هذه المبادئ وأكثرها أثرًا في العالم اليوم، إنها الرأسمالية الديمقراطية والتي قامت على أساس فصل الدين عن الدولة مما أدى إلى فصله عن الحياة كحل وسط للتوفيق بين رجال الدين الذين يريدون إخضاع كل شيء لهم باسم الدين، وبين الفلاسفة والمفكرين الذين ينكرون الدين وسلطة رجال الدين.

وأما عقيدة الاشتراكية الشيوعية فكانت نتيجة تفكير أولئك المفكرين الذين ظهروا في أوروبا وعلى رأسهم هيغل وكارل ماركس ولينين الذين أنكروا الدين وسلطة رجال الدين. ومعنى هذا أنهم رفضوا وجود ما قبل الوجود وما بعده، ولم يرَوا إلا وجود هذا الوجود المادي من كون وإنسان وحياة. ورأَوا أن المادة هي أصل الأشياء كلها. وأن تطور المادة يوجِد الأشياء؛ ما جعلهم يعتقدون أن الدين أفيون الشعوب، كما يقول ماركس الذي تنسب إليه عقيدتهم. وهكذا كانت المادة هي أصل الفكر عندهم لأنهم رأَوه مجرد انعكاس المادة على الدماغ ليس غير.

أما عقيدة إلاسلام، فنشأت بوحي من الله سبحانه إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم الذي أمره بتبليغ رسالة الإسلام للناس كافة، مبتدئًا بالعرب الذين نزلت الرسالة بلغتهم ومنتهيًا بجميع أطراف المعمورة، إلزامًا لأتباعه في الدعوة والتطبيق. فكانت «**لا إله إلا الله محمد رسول الله**»، أي لا معبود بحقّ إلا الله، توجب طاعته بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه. كما توجب «**محمد رسول الله**» التـزام العمل برسالته. وهذا يعني أن لهذا الوجود خالقًا، وأنه المدبّر المنظّم لهذه الحياة، وأنه سيبعث الناس يوم القيامة ليجزي كل نفس بما آمنت وعملت. فكانت عقيدة الإسلام بهذا الواقع عقيدة عملية تقدم الحلول لجميع مشاكل الحياة، وبالتالي عقيدة مبدئية.

ثانيًا: النظرة للإنسان ومثله العليا والمجتمع وقيمه وتنظيمه وتنفيذ أنظمته:

أما الرأسمالية والاشتراكية فإنهما بالرغم من اختلافهما في الفكرة الأساسية عن الإنسان

ومعه الكون والحياة، إلا أنهما متفقان في أن المثُل العليا للإنسان هي تلك القيم العليا التي يضعها الإنسان لنفسه، وأن السعادة لدى كل منهما هي التمتع بأكبر حظ من المتع الجسدية في حياته، وأن هذا التمتع هو واسطة السعادة بل السعادة نفسها. كما أنهما متفقتان على إعطاء الإنسان حريته الشخصية ليتصرف كما يشاء لتحقيق سعادته، مما يجعل الحرية الشخصية من مقدسات هذين المبدأين.

وتختلفان في النظرة إلى الفرد والمجتمع. فالرأسمالية ترى أن المجتمع مكوَّن من أفراد، فهي مبدأ فردي تضمن له الحريات وبالذات حرية العقيدة والحرية الاقتصادية. والدولة تنفذ تقييد حرية الفرد بقوة الجندي وصرامة القانون.فالدولة وسيلة لا غاية. وأما الاشتراكية فإنها ترى أن المجتمع مجموعة عامة من البشر، فالإنسان والطبيعة والعلاقات كلها شيء واحد، فلا يستطيع الفرد إلا السير مع المجموعة كما يسير السن في الدولاب. وهذا يعني أن الفرد لا يملك حرية العقيدة ولا حرية اقتصادية، والدولة هي التي تقيِّد العقيدة والاقتصاد.

وأما الإسلام فإنه يرى أن المثُل العليا للإنسان والمجتمع هي من أوامر الله ونواهيه؛ فلا يلحقها التغيُّر ولا التطوُّر. فالمحافظة على نوع الإنسان، وعقله، وكرامته، ونفسه، وملكيته الفردية، والدين، والأمن. وكذلك الدولة... هي أهداف عليا ثابتة للحفاظ على الفرد والمجتمع؛ لذلك وضع للمحافظة عليها عقوبات قاسية من حدود وقصاص وتعازير. كما اعتبر المحافظة عليها أهدافًا واجبة، مما يجلب الطمأنينة للمسلم، ويحقق السعادة لديه، والتي تتمثل في نوال رضوان الله سبحانه وتعالى وليس في إشباع الجسد وتوفير متعه. أما بالنسبة إلى الإنسان في ذاته فقد رآه الإسلام صاحب حاجات عضوية وغرائز، فنظّمها جميعها ليشبع جوعاتها بشكل منسَّق دقيق لا على حساب بعضها البعض لا كبتًا ولا إطلاقًا. وأما بالنسبة إلى عضويته في المجتمع فقد رآه جزءًا غير منفصل عن الجماعة كجزئية العضو من الجسم. وأما المجتمع فهو مجموعة من الناس بينهم علاقات ناشئة عما يلتقون به من أفكار ومشاعر لديهم، وعما ينظمون شؤونهم به من أنظمة، وهي مجموعة الأوامر والنواهي الشرعية المقيدة والحافظة، والدولة هي المنفذة.

ثالثًا: العقيدة التي تنبثق عنها أنظمتها، ومن حيث مقياس أعمال الإنسان في الحياة، وطريقة تنفيذها للنظام الذي ينبثق عن عقيدته:

أما بالنسبة إلى العقيدة، فالشيوعية ترى المادة أصلًا لكل شيء، وكل شيء يصدر عنها بالتطور المادي. بينما ترى الرأسمالية فصل الدين عن الحياة وبالتالي فصله عن الدولة، ولا دخل للخالق في الحياة. وأما الإسلام فيرى أن الله سبحانه وتعالى خالق الوجود ومدبره بما أودع فيه من نظام وأرسل إلى البشر من رسل

يحاسب كل إنسان بناءً على إيمانه وأعماله يوم الحساب.

وأما بالنسبة إلى كيفية انبثاق الأنظمة عن العقيدة، فالشيوعية ترى أن الأنظمة تؤخذ من أدوات الإنتاج. وأما الرأسمالية فترى أن الإنسان يأخذ أنظمته من واقع حياته بعد أن فصلها عن الدين. وأما الإسلام فيرى أن الله أرسل للناس سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم بالأنظمة التي بلَّغه إياها، فصار الإنسان ملزمًا بالسير عليها بدراسة كل مشكلة واستنباط حلِّها من كتاب الله وسنّة رسوله.

وأما بالنسبة إلى مقياس الأعمال في الحياة، فالشيوعية ترى النظام المادي هو المقياس؛ ولذلك يتطور هذا المقياس بتطور النظام. وأما الرأسمالية فترى النفعية هي المقياس، فحيثما وجدت وجد العمل. وأما الإسلام فيرى الحلال والحرام هو المقياس، فحيثما وجد الحلال يجري العمل وحيثما وجد الحرام يتوقف.

وأما بالنسبة لتنفيذ النظام في واقع الحياة، فالشيوعية ترى الدولة هي المنفّذة بقوة الجندي وصرامة القانون. وأما الرأسمالية فترى الدولة مشرفة على الحريات ولا تتدخل عند حصول الاستغلال وأخذ الحقوق بالرضى. وأما الإسلام فيرى التنفيذ من الفرد المسلم بدافع تقوى الله، ومن الدولة بدافع شعور الجماعة بعدالة الإسلام، ومن الأمة بتعاونها مع الحاكم بدافع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن سلطان الدولة بتنفيذ العقوبات.

رابعًا: مدى موافقتها لفطرة الإنسان، وبنائها على العقل:

فبالنسبة إلى الموافقة للفطرة، فإن الإسلام هو وحده من بينها الموافق للفطرة؛ لأن التدين فطرة في الإنسان. والتدين هو الاحتياج إلى الخالق المدبر الناشئ عن العجز الطبيعي في الإنسان. وهو غريزة ثابتة لها رجع معين هو التقديس. فالشيوعية أنكرت وجود الله ووجود الروح، ونقلت تصور الإنسان وإدراكه وتقديسه لخالقه إلى تقديس المبدأ وحمَلَته من المخلوقات، فرجعت بالإنسان إلى الوراء وحوّلتها بالمغالطة تحويلًا رجعيًا، فهي عقيدة مخفقة من ناحية فطرية؛ لأنها تختلف عن طبيعة الإنسان، مما اضطرها أن تلجأ للقوة لإخضاع الناس لمبدئها. وكذلك الرأسمالية فإنها مخالفة لفطرة الإنسان لأنها أبعدت الدين من الحياة الإنسانية مع أنه المدبر لأعمال الإنسان في الحياة، فكانت بهذا الإبعاد مخالفة لفطرة الإنسان، وكانت مخفقة من ناحية فطرية.

وأما بالنسبة إلى البناء على العقل، فعقيدة الإسلام هي وحدها العقيدة الإيجابية للإنسان؛ لأنها تجعل العقل أساس الإيمان بوجود الله الخالق المدبر، كما أنها تفرض على المسلم أن يؤمن مع وجود الله بنبوّة محمد وبالقرآن الكريم عن طريق العقل، والمغيبات التي أتى بها شيء ثبت وجوده بالعقل من قرآن وحديث متواتر. أما الشيوعية فهي مبنية على المادية

وليس على العقل؛ لأنها ترى وجود المادة قبل الفكر، وأن المادة هي أصل الأشياء كلها. وتقول بأن المادة حين تنعكس على الدماغ يوجد الفكر. وهذا الزعم خطأ من ناحيتين: الأولى: إن الانعكاس بين المادة والدماغ غير موجود، لعدم وجود قابليته بينهما كما هو بين المرآة وغيرها. والموجود بينهما هو انتقال الإحساس بالمادة إلى الدماغ بوساطة الحواس. وهذا متحقق في العين وغيرها من الحواس. والثانية: إن الإحساس بالواقع لا يوجِد فكرًا، فلا بد من وجود معلومات سابقة عند الإنسان لتفسير الواقع الذي أحسّ به حتى يحصل الفكر. وعليه فان العقيدة الشيوعية مخطئة في فهمها للفكر وفاسدة في عدم بنائها على العقل. وأما الرأسمالية فهي مبنية على الحل الوسط بين رجال الكنيسة والمفكرين، وهو فصل الدين عن الحياة؛ ولذلك كانت حلّ ترضية أو حل وسط أنهى الصراع العنيف الذي استمر قرونًا بين المفكرين ورجال الكنيسة؛ مما جعل الحل الوسط فكرة أصيلة عندهم تظهر بالتقريب بين الحق والباطل، والإيمان والكفر والنور والظلام، مع أن كلًا منها لا يلتقي مع الآخر؛ ولذلك كانت عقيدتهم فاسدة لأنها غير مبنية على العقل. وهكذا كانت العقيدة الإسلامية هي الوحيدة الصحيحة السليمة؛ لأنها موافقة لفطرة الإنسان ومبنية على العقل. أما الشيوعية والرأسمالية فباطلتان فاسدتان، لأنهما تتناقضان مع فطرة الإنسان وغير مبنيتين على العقل كما أسلفنا.

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال مهم وجوهري في هذا المجال وهو: ما الفرق بين الفتح الإسلامي والاستعمار الغربي؟

والجواب أن الفتح الإسلامي كان لإزالة الحواجز المادية من طريق الدعوة الإسلامية، كما قام بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في فتح مكة؛ لذلك كان لا يفرض على البلاد المفتوحة اعتناق الإسلام، لقوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ وإنما يعرضه عليهم ليرَوه عمليًا كما يسمعونه فكريًا. فتصل إليه عقولهم وتهتدي إليه فطرتهم، فيدخلون فيه أفواجًا. أما الاستعمار الغربي فقائم على السيطرة على الشعوب الضعيفة في جميع المجالات لاستغلالها ونهب خيراتها لمصلحة شعوبه؛ ولذلك نلاحظ كيف يعمد إلى التضليل الثقافي والسياسي، وإلى فرض الزعامات المكروهة، جنبًا إلى جنب، ليضمن استمرار بقائه باستمرار بُعدِ المسلمين عن إسلامهم وتصديقهم لتضليله وتسخيرهم لمآربه.

إن استمرار بقاء هذه الشعوب مسلمة حتى اليوم لدليل ساطع على قدرة هذا الإسلام على الاستمرار حتى قيام الساعة محافظًا على بقاء الأمة الإسلامية الواحدة معتنقة له من دون غيره. أما ما حصل لمسلمي الأندلس، فكان إفناءً بمحاكم التفتيش وبيوت النيران ومقاصل الجلادين. ولم يكن ردّة عن الإسلام مختارة.

وكذلك ما حصل لمسلمي بخارى والقفقاس وتركستان، وغيرها، كل ذلك بقهر الاستعمارَين الغربي والشرقي على حد سواء.

وبما أن الدولة الإسلامية دولة بشرية وليست دولة إلهية، فمن الطبيعي سقوطها عند تخلي المسلمين عن عوامل نهضة دولتهم وخضوعهم لعوامل أدت إلى إسقاطها، فكان إعلان إلغاء الخلافة وفرض تطبيق العلمانية في ٢٨ رجب ١٣٤٢م الموافق ٣-٣-١٩٢٤م، وإذا أردنا العودة للنهوض والصدارة من جديد لنكمل رسالتنا إلى العالم كافة فلن يكون ذلك إلا بالآتي:

١- إيجاد الفكر الصحيح الذي قامت على أساسه الدولة الأولى، وطريقة التفكير السليمة عند الأمة؛ لفهم الإسلام وأحكامه وكيفية عودته من جديد إلى الحياة.

٢- ضرب الأفكار الغربية القائمة على أساس فصل الدين عن الحياة وما انبثق عنها من أنظمة للحياة.

٣- الوعي على التاريخ الصحيح لنعرف كيف كان من قبلنا يقود الدولة عمليًا على أساس الإسلام.

٤- معرفة طبائع الشعوب تجاه دولة الخلافة سابقًا، وبالمسلمين في الوقت الحاضر؛ ليسهل علينا كيفية التعامل معهم عند قيام الدولة بإذن الله.

وختامًا، فإن النهوض بالمسلمين من جديد لا يتأتى إلا بجماعة واعية مخلصة قائمة على أساس الإسلام قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾. هذه الجماعة تمتلك منهجًا للتغيير يتجلَّى فيه معرفة كيفية الوصول إلى الحكم لتغيير النظام حسب أحكام الشرع، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾. كما ولا بد لها من مشروع للدولة يتضمن نظرته وتصوره لنظام الحكم في الإسلام وتفصيلاته وكيفية تطبيقه، قال تعالى: ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ ﴾، وقال تعالى:﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

نسأل الله العلي القدير أن يُعجل بقيام دولة المسلمين «**خلافة على منهاج النبوة**» تُقيم شرع ربنا، وتوحد شملنا، وتلمُّ شتاتنا، وتنشر الخير للعالم أجمع، وما ذلك على الله بعزيز.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾.

صدق الله العظيم. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

سياسات رجب طيب أردوغان في ميزان الإسلام (٢): دور تركيا في حلف الناتو

إن قراءة الواقع السياسي يجب أن تكون قراءة واعية مجردة عن المشاعر، والحكم عليه يجب أن ينبني على قواعد ثابتة، بمعنى أنه يجب أن نفهم الواقع كما هو لا كما نحب أن يكون، وأن الحكم عليه يجب أن ينبني على العقيدة الإسلامية لا أن ينبت في مراكب تتلاعب بها الأمواج والرياح، كما أن الحكم على الأشخاص والأفكار لابد من أن ينبني على قاعدة ثابتة قائمة على العقيدة الإسلامية وإلا فقدنا وعينا وتم سوقنا إلى المهالك ونحن نهلل ونستبشر، نرى الأمر نحسبه عارضًا ممطرنا فإذا هو ريح فيها عذاب أليم، أو سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً!. وإنه لا ينبغي أن تسمح الأمة لأحد بخداعها وإدخالها في حالة تستنزف من طاقاتها وقدراتها ووقتها وأملها ثم تعود مخذولة يائسة، خاصة وأن بين يديها كتاب ربها الذي أنزله هدى ونورًا؛ فلا تضل ما اتخذت مقاييسها وأحكامها منه، وبنت أفكارها على أساسه. ولقد التفَّت الأمة سابقًا حول زعامات زائفة تم صناعتها صناعة، هلَّلت وطبَّلت لها على مواقف زائفة وخطابات عنترية، برغم أن تلك الزعامات لم تمنع عن الأمة هزائم تتلوها هزائم ولم تردَّ يدَ لامس، بل أوردتها المهالك وتلاعبت بقضاياها الهامة والمصيرية لصالح أعداء الأمة، بداية من مصطفى كمال وجمال عبدالناصر وياسر عرفات وليس انتهاء بالرئيس التركي أردوغان.

في عام ١٩٥٢م، انضمت تركيا إلى حلف شمال الأطلسي (الناتو) الذي وُقِّعَ عليه في ٤أبريل/ نيسان ١٩٤٩م في واشنطن، واعتبرته حلفًا يعزز الهوية (الغربية) إلى جانب ضماناته التي امتدت سنوات طويلةً في مجال الدفاع والأمن. وفي حزيران ٢٠٠٥م، أَسّست تركيا المركز الأعلى لمكافحة الإرهاب (TMMM) في بنية هيئة الأركان العامة؛ وذلك في إطار القرارات التي اتُّخِذت لبناء مراكز عليا ترشد صنَّاع القرار، ومن خلال أعمالها في قمة حلف الناتو التي عقدت في براغ في سبتمبر/ تشرين الثاني ٢٠٠٢م من أجل مكافحة التهديدات القديمة والجديدة. وهو منظمة عسكرية دولية يعمل فيها ضباط من سبع دول أعضاء في حلف الناتو إضافة إلى تركيا، ويقدم الخدمات للموظفين المدنيين والضباط متوسطي ورفيعي المستوى من الدول الأعضاء في الحلف والدول التي لها شراكة مع حلف الناتو في محافل مختلفة. ويقيم هذا المركز سيمينارات وندوات وورشات عمل وغيرها

من الفعاليات في موضوعات متعددة، مثل استنزاف الموارد المالية للإرهابيين، ومكافحة الانتحاريين، والعلاقة بين الإرهاب والإعلام، ودراسة أسس الإرهاب الأيديولوجية... وتُقدِّم الإسهامات الأكاديمية للأعمال التي تُسيَّر في مقر حلف الناتو بخصوص مكافحة الإرهاب.

في ١٩ مارس ٢٠٠٣م، صوَّت البرلمان التركي بالموافقة للسماح للقوات الأمريكية باستخدام قواعد تركيا لغزو العراق؛ حيث وافق ٣٢٢ ورفض ٢٠٢ وامتنع عضو واحد عن التصويت، كما سمحت تركيا للولايات المتحدة باستخدام قاعدة إنجرليك في جنوب تركيا لنقل المجاهدين لمعتقل جوانتانامو. لم يكن هذا هو هدف القواعد الوحيد، فقد كانت تزود أميركا بالمؤن؛ كالغذاء والمياه والوقود والأدوية لمعالجة الجرحى. وتُستخدم تركيا كقاعدة لأغلبية الدعم اللوجستي للقوات الأمريكية المتمركزة في العراق، وقد اتفقت أيضًا على السماح للقوات الأميركية بالانسحاب من العراق عن طريق الأراضي التركية.

سمحت تركيا للولايات المتحدة باستخدام قواعدها في الحرب على أفغانستان، وخلال أقل من ٢٤ ساعة قامت تركيا بتسهيل استخدام أراضيها ومجالها الجوي للقوات الأمريكية لبدء الحرب على أفغانستان في أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٠١م، فضلًا عن إرسال تركيا لما يقرب من حوالى ١٢٠٠ جندي لتقديم العون لقوات الدعم والإسناد (إيساف) التابعة لحلف الناتو. كما دعمت التدخل العسكري الدولي في شمال مالي. ولك أن تتخيل حجم الدمار والخراب الذي لحق بالمسلمين على يد أعدائنا الصليبيين، من قتل وتنكيل وضياع للأرض وانتهاك للحرمات وكل هذه الجرائم تشارك تركيا فيها بقواتها.

فأمريكا والدول الغربية تستغل قوة تركيا وأراضيها ذات الموقع الاستراتيجي المهم لدعم أهداف الحلف المعادية للإسلام، فالطائرات الأمريكية تشن الكثير من غاراتها ضد أبناء المسلمين من قواعد لها على الأراضي التركية، فلو كان أردوغان يملك قرار بلاده لانسحب من هذا الحلف المعادي للإسلام والمسلمين فورًا ومن دون تأخير، وكم من المجازر التي ارتكبها الحلف في العراق وأفغانستان وفي غيرها من بلاد المسلمين بدم بارد وبحقد دفين.

العلاقة مع روسيا:

لقد جاء الكثير من التوسّع الإمبراطوري الروسي، بدءًا من ضم القرم في عام ١٧٨٣م، على حساب الدولة العثمانية على طول الساحل الشمالي من البحر الأسود والبلقان، والقوقاز، كما قلبت المكاسب الروسية من تراجع الإمبراطورية العثمانية موازين القوى في أوروبا ولا سيما خلال حرب القرم (١٨٥٤-١٨٥٦)م. وبالإضافة إلى ذلك، ساعدت طموحات روسيا للاستيلاء على المضيق التركي واستكمال تقطيع أوصال الإمبراطورية العثمانية على اندلاع الحرب العالمية الأولى.

لقد نجحت تركيا في البقاء على الحياد خلال الحرب العالمية الثانية، ولكن انتصارات

الاتحاد السوفياتي أدت إلى إحياء طموح الإمبراطورية الروسية للسيطرة على المضيق التركي. وفي ذلك الوقت، طالب جوزيف ستالين بسيطرة سوفياتية تركية مشتركة على المضيق وإقامة قواعد عسكرية في تركيا.

قاومت أنقرة مطالب ستالين، مما دفع ستالين للضغط من أجل اندلاع ثورة شيوعية في تركيا. وردًا على ذلك، قدّم الرئيس الأمريكي هاري ترومان المساعدة لأنقرة وفقًا لبنود مبدأ ترومان. وفي عام ١٩٥٢م، انضمت تركيا إلى حلف شمال الأطلسي، وأصبحت تركيا الكمالية معقلًا لمعاداة الشيوعية وركيزة أساسية من ركائز التحالف الغربي. لكنَّ الاتحاد السوفياتي لم يتخلَّ أبدًا عن جهوده لإضعاف تركيا. وبين أدواته للقيام بذلك، كان دعم تمرد حزب العمّال الكردستاني ضد أنقرة في ثمانينات القرن الماضي.

استمر الصراع بين أنقرة وموسكو بشأن الدول المجاورة. في تسعينات القرن الماضي، حاولت تركيا بدعم من الغرب الاستفادة من العلاقات التاريخية والثقافية لتحلّ محلّ روسيا باعتبارها راعي الجمهوريات الإسلامية الناطقة بالتركية في آسيا الوسطى. كما دعمت أنقرة وموسكو أطرافًا متناقضة في الصراع بين أرمينيا وأذربيجان حول إقليم ناغورنو كاراباخ الذي توقف بعد اتفاقية وقف إطلاق النار عام ١٩٩٤م.

بموجب اتفاق يناير عام ٢٠٠٢م بين البلدين سحبت روسيا دعمها لحزب العمّال الكردستاني في حين اعتمدت تركيا موقفًا أكثر تشددًا في الشيشان وجماعات شمال القوقاز الأخرى التي تعمل من أراضيها، على الرغم من التعاطف الكبير الذي كانوا يتمتعون به بين الشعب التركي. مما مكن الروس من إحكام قبضتهم على الشيشان والقضاء على تحركات المجاهدين الشيشان من أجل التخلص من النفوذ الروسي.

وبحلول عام ٢٠٠٨م، أصبحت روسيا أكبر شريك تجاري لتركيا. وكان مجال الطاقة هو المكّون الأكثر أهمية في العلاقات الاقتصادية بين البلدين. استوردت تركيا، التي لا تمتلك سوى القليل من المواد الهيدروكربونية، أكثر من ٤٠ بالمئة من واردتها النفطية من روسيا في عام ٢٠٠٩م. ولا تزال روسيا تزوّد البلاد بحوالى ٥٧ بالمئة من الغاز الطبيعي. كما امتدت العلاقات الاقتصادية لتشمل الطاقة النووية، والإنشاءات، والسياحة، والقطاعات الأخرى كذلك.

بعدما أوعزت أمريكا لروسيا بالتدخل المباشر في سوريا على أثر اجتماع أوباما مع بوتين يوم ٢٠١٥/٩/٢٩م، أوعزت لأردوغان أن يتفاهم مع بوتين بشأن الخروقات الجوية التي سيقوم بها الطيران الروسي أثناء شن غاراته على أهل سوريا المسلمين؛ حيث إن القاعدة الجوية التي سينطلق منها طيران العدوان الروسي قريبة من تركيا، وقد شرح جنرال روسي ذلك على تلفزيون (روسيا اليوم)، إذ إنه لا مفر من أن يخترق الطيران الروسي

الأجواء التركية أثناء الإقلاع أو الهبوط لضيق المجال، فأعلن عن هذا التفاهم حيث ارتكب أردوغان خيانة كبرى وأصبح شريكًا في سفك دم المسلم الحرام.

وحدث أن قامت طائرة تركية بإسقاط طائرة روسية اخترقت الأجواء يوم ٢٠١٥/١١/٢٤م، فتدهورت العلاقات بين الطرفين، واعتبرها بوتين (طعنة في الظهر)، ولكنه لم يحمّل أردوغان شخصيًا المسؤولية، وعمل أردوغان على تصحيح الأمر حتى قدم اعتذارًا لروسيا يوم ٢٠١٦/٦/٢٧م، ومن ثم حصل اللقاء بينهما يوم ٢٠١٦/٨/٩م، في سان بطرسبرغ؛ ليقوم بعدها الطيران الروسي وأثناء القمة بجانب نظام الطاغية بتكثيف غاراته على أهل سوريا المسلمين ليقتل المئات منهم في غضون أيام قليلة، وما زال يواصل غاراته لأنه مرتاح، وقد أخذ الموافقة دون اعتراض على ذلك من قبل أردوغان الذي يرأس دولة جل سكانها من المسلمين، وقد كذب على أهل سوريا بأنه سينصرهم!

إنه من المعلوم أن تركيا أردوغان تسير في سياستها مع أمريكا، ولم تخرج عنها في شيء يذكر طوال عهده، فكل سياساته كانت وما زالت تصب في خانة المصالح الأمريكية؛ ولذلك دفعت أمريكا أردوغان ليتصالح مع روسيا التي تقدم الخدمات لأمريكا في سوريا، ونسيان موضوع إسقاط الطائرة الروسية الذي تبين للجميع أنه كان خطأ. وقد لاحظ الجميع كيف أستطاعت أمريكا من خلال تركيا والروس السيطرة على الوضع في سوريا، ومنع إسقاط نظام بشار الأسد قبل أن ينضج البديل، وكيف اختفى الدور الأوروبي تمامًا أو كاد.

وقد أعلنت تركيا الأحد ٢٠٢٠/٠٣/٠١م، أنها أطلقت عملية عسكرية ضد النظام السوري في إدلب في شمال غرب سوريا، ردًا على هجمات كبّدت أنقرة خسائر فادحة. وقال وزير الدفاع التركي خلوصي أكار عملية (درع الربيع)، التي أطلقت بعد الهجوم الشنيع في إدلب في ٢٧ شباط/فبراير، متواصلة بنجاح. وأضاف أن أنقرة لا تملك «لا النية ولا الرغبة في الدخول بمواجهة مع روسيا» التي تدعم النظام السوري برئاسة بشار الأسد.

من الواضح جدًا سعي أردوغان الحثيث لتطبيق بنود سوتشي وفتح الطرق الدولية، وما يتطلبه ذلك من تدمير وتهجير ممنهجَين، وذهاب كل المدن والقرى على جنبات الطريق ليد نظام الأسد (باعتراف تركي رسمي)، ثم تأتي نقاط الخداع التركي تترى فيُظن بها خيرًا لينكشف دورها بالمراقبة فقط لأي تحرك مخلص ضد طغمة أسد الإجرامية ويحتضنها النظام بلا اشتباك ولا عداوة. ثم تأتي موجات مسعورة ومتكررة من القصف والتهجير لكسر إرادة الأمة، وإخضاعها للحل السياسي الذي تهندسه أمريكا، فيسارع أردوغان لتنفيس الاحتقان. ولا يخلو الجو أحيانًا من رشقات اختلاف هزلية عابرة للتعمية على الخيانة لا تتعدى الاختلاف على بعض الرتوش، ما دامت تركيا تصرح بلا مواربة أو حياء أنها تضغط

على روسيا لتعود لحدود سوتشي لتشرعنَ لها ما سُلِّم قبله وأثناءه. في حين وبالتوازي تصدر تصريحات رسمية عن ارتفاع مستوى التنسيق والتبادل التجاري بين تركيا وروسيا إلى مستويات غير مسبوقة، وكأننا نحن البضاعة!، ثم تأتي مسرحيات القصف التركي للنظام، والتي لا تتعدى كونها رفعًا لأسهمه المتهاوية، ودفعًا للناس للتعلق من جديد بحباله المسمومة. والسؤال الذي يجب أن يطرح الآن، أين صارت مناطق خفض التصعيد السابقة (التي ضمنها الضامنون) وأين صار أهلها؟! ألم يسيطر عليها النظام ويهجّر أهلها إلى الشمال؟!.

إن روسيا دولة عدوة للإسلام والمسلمين، فقد قتلتهم في الشيشان وأفغانستان وتفعل ذلك في سوريا الآن، فلم تُبقِ صاروخًا أو سلاحًا إلا وجرَّبته في النساء والشيوخ والأطفال، ومجازرها في جميع أنحاء سوريا بحق المسلمين مستمرة إلى الآن. إن الله سبحانه وتعالى حذَّرنا من الركون للأعداء والظالمين وتوعد بالنار من لم يلتزم بذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣﴾.

أي إسلام يريد أردوغان:

في كلمة ألقاها خلال حفل أقيم بمناسبة اليوم العالمي للمرأة في ٢٠١٨/٠٣/٠٨م، قال أردوغان: «لا يمكن تطبيق الإسلام بأحكام صدرت قبل ١٤ و١٥ قرنًا، وتطبيق الإسلام يختلف بحسب المكان والزمان والظروف، وهنا يكمن جمال الإسلام». فإذا كان هذا هو رأي أردوغان في الإسلام وأنه يحتاج لتحديث ليلائم العصر، فعن أي تدرج نحو تطبيق الإسلام يتحدث المفتونون به؟!، وأي خلافة يمكن أن يقيمها أردوغان في يوم ما؟! فهو يقيم في بلده نظامًا علمانيًا ليس له أدنى تعلق بالإسلام، ويقوم على ما تقوم به أنظمة الكفر الرأسمالية. والذي يوضِّح الصورة أكثر وأكثر، فإن أهل تركيا ذوي الغالبية الإسلامية يمارسون حياتهم كل بحسب معتقده ومفاهيمه عن الحياة بمن فيهم المسلمون، ولكن على أساس فصل الدين عن الدولة، فلو أن مسلمًا شرب الخمر، أو زنا، أو سرق أو قتل أو ارتد... فإنه لا تطبق عليه العقوبات والحدود الشرعية... حتى إننا نجد في بعض المعالم التركية السياحية، ما يعرف بالسياحة الجنسية... وهو لا يجد أن هذا يوجب الشرع عليه كحاكم أن يمنعه... فبالنسبة إلى الحكم، فإن كل شيء يسير في تركيا كما كان يسير من قبل أن يأتي أردوغان إلى الحكم، وعلى طريقة (أتاتورك) في الحكم... الذي اختلف هو أمر واحد، وهو أن (أتاتورك) كان يتبنى علمانية معادية للدين، وللإسلام بالدرجة الأولى، فهو كما نعلم منع الأذان بالعربية، وأغلق الكثير من المساجد، ومنع الحجاب، وترجم القرآن إلى التركية... أما أردوغان فإنه تبنى علمانية غير معادية للدين. وبما

أن غالبية الناس مسلمة، كان لهذا التحول أثره الطيِّب على نفوس المسلمين، ووجد تقبُّلًا عارمًا عند مسلمي تركيا، وخاصة بعد أن استطاعوا، خلال فترة حكمه، أن يمارسوا شعائرهم الدينية التعبدية التي كانوا محرومين منها من قبل، وفتح لهم الكثير من المساجد المغلقة. كذلك وجد تقبُّلًا عند المسلمين في جميع أنحاء العالم، وأخذوا ينظرون إلى هذا التحول على أنه التحول الشرعي المطلوب، ويعوِّلون عليه للتغيير الشرعي المنشود. والذي زاد من تمسكهم به هو معاداة الفئة العلمانية لكل تحركاته، وتوجُّسهم خيفةً من كل تصرف يتصرف به، واعتباره أنه يعمل على القضاء على إرث (أتاتورك). ولأن عوام المسلمين تقوم مواقفهم على ردات الفعل، فإنهم زادوا تمسكًا به وتأييدًا له، وظهر ذلك في نجاحه في الانتخابات، وفي تأييده ضد العسكر، وفي وقوفهم إلى جانبه ضد الانقلاب.

إن من يطلع على حجم الاعتقالات والملاحقات والتسريحات من العمل التي نفذها أردوغان بحق خصومه السياسيين والعسكريين والإعلاميين والفكريين، يلمس حجم الجهود الجبارة التي يبذلها لتثبيت حكمه وصلاحياته في البلاد، وإذا ما أضيف إلى ذلك الصلاحيات التي تمكَّن من انتزاعها لنفسه بعد الانتخابات الأخيرة والتعديلات الدستورية يدرك حجم القوة التي بات يتمتع بها والسطوة التي يمتلكها في البلاد. وأمام هذه القوة والصلاحيات التي يتمتع بها أردوغان يأتي مشهد خذلانه للإسلام والمسلمين. فنظام الحكم في تركيا ما زال علمانيًا، بل ونظامه يحارب دعاة الإسلام ويودعهم السجون أعوامًا مديدة، وإذا ما ناقشت محبي الإسلام ممن وقعوا في خداع أردوغان عن سبب عدم حكم أردوغان بالإسلام ما دام محسوبًا على الإسلاميين، يقولون لك: «أردوغان لا يستطيع التغيير مرة واحدة، فخصومه كثر»!!

وهنا يبرز التساؤل الأكبر، إذا كان أردوغان قد استطاع البطش بعشرات الآلاف من الخصوم العسكريين والسياسيين، وملاحقة عشرات الآلاف الآخرين، وأطاح بجنرالات وقادة كبار في الجيش، وما زال يلاحق كل حصون وقلاع خصومه بضراوة وشراسة غير مسبوقة، وكل ذلك من أجل شخصه أو حزبه، أفلا يستحق الإسلام العزيز أن يفعل له بعض ما فعله لنفسه ولحزبه؟! فهل يستطيع فعل كل ما فعل من أجل نفسه وهيبته ولا يستطيع ذلك من أجل الإسلام الذي بسببه انتخبه الناس؟!.

لا شك أن الجواب على هذا التساؤل سهل جدًا لمن أراد أن يُبصر الحقيقة المتمثلة بأنَّ أردوغان لا يريد تطبيق الإسلام ولا يسعى لذلك، وما تستُّره بالإسلام إلا خداعًا للمسلمين وتمريرًا لمؤامرات المستعمرين في بلاد المسلمين تحت لواء ومظلة ما تحبه الجماهير وتهواه وهو الإسلام. وما نقول هذا الكلام إلا ﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾. ■

بعد فتوى ابن باز بجواز الصلح مع يهود... ابن عثيمين مع اتفاق السلام بين الإمارات و(إسرائيل)

نشرت (CNN)العربية أن نشطاء تداولوا على مواقع التواصل الاجتماعي تعليق محمد بن صالح العثيمين، المفتي السابق للمملكة العربية السعودية وسط الضجة التي أثيرت حول فتوى عبد العزيز بن باز عن «السلم مع اليهود» وذلك في أعقاب إعلان اتفاق السلام بين الإمارات و(إسرائيل). وقال ابن عثيمين في رده على من وصفهم بـ«المشنِّعين» وفقًا للتسجيل الصوتي المنشور على موقعه الرسمي: «وأما ما شنَّع به بعض الناس على المصالحة مع اليهود فهذه مسألة سياسية، وربما تجد بعض هؤلاء المشنِّعين من أبعد الناس عن الإسلام، وإنما هي سياسة وعصبية وقومية وما أشبه ذلك، وهؤلاء لا عبرة بهم ما دام لدينا دليل من القرآن والسنة، فإننا لا نهتم لأحد». وتابع العثيمين قائلًا: «إن بعض هؤلاء المشنِّعين لو بحثت عن حالهم أفرادًا وليس جماعات لوجدت فيهم الخبيث المنافق، لكنها مسألة سياسية، وقد شنَّعوا على أفضل علماء هذه البلاد ولكن لا عبرة بتشنيعهم.» وكان ابن باز قد قال في الفتوى المتداولة: «كل دولة تنظر في مصلحتها، فإذا رأت أن من المصلحة للمسلمين في بلادها الصلح مع اليهود في تبادل السفراء والبيع والشراء وغير ذلك من المعاملات التي يجيزها شرعُ الله المطهَّر، فلا بأس في ذلك».

الوعي: لو جئنا إلى العلماء الرسميين في كل بلد لوجدنا أن ما يقومون به من تطويع للشرع لأهواء الحكام لهو أخطر مما يقوم به الحكام أنفسهم؛ لذلك جعلهم الشرع شركاء الحكام في الإثم. وإن ترك العلماء المسائل السياسية للحكام، وأنها خارج اختصاصهم كعلماء، والحكام هم الذي يحددون الحكم فيها هكذا بشكل مطلق، وهم، أي العلماء، يطيعونه بشكل مطلق، فإن هذا يجعل الطاعة لأمريكا ولحكام المسلمين عملائها وليس لله، أليس في كلامه هذا فصل للدين عن السياسة؟! وهل هكذا كان موقف علماء السلف من أئمة المسلمين؟!. لأجل هذا يتخلى أمثال هؤلاء العلماء عن الميثاق الذي أخذه عليهم، ويفقدون دورهم كورثة للأنبياء.

مفتي سلطنة عُمان: تحرير الأقصى وما حوله دين برقبة الأمة

جاء في بيان لمفتي سلطنة عُمان، أحمد بن حمد الخليلي، نشره على صفحته الرسمية بموقع التواصل الاجتماعي، تويتر، حيث قال فيه: « إن تحرير المسجد الأقصى وتحرير جميع الأرض من حوله من أي احتلال واجب مقدس على جميع الأمة ودَيْنٌ في رقابها جميعًا يلزمهم

وفاؤه، وإن لم تواتِهم الظروف وتسعفْهم الأقدار فليس لهم المساومة عليه بحال، وإنما عليهم أن يَدَعُوا الأمر للقدر الإلهي، ليأتي الله بمن يشرفه بالقيام بهذا الواجب" وأتى بيان الخليلي بعد أيام على إعلان اتفاق السلام بين الإمارات و(إسرائيل) في خطوة أيدت سلطنة عُمان، على لسان ناطق رسمي باسم وزارة الخارجية قرار دولة الإمارات العربية المتحدة بشأن العلاقات مع (إسرائيل) في إطار الإعلان التاريخي المشترك بينها وبين الولايات المتحدة و(إسرائيل)، وفقًا لما نقلته وكالة الأنباء العمانية الرسمية.

الوعي: وهذه فتوى صادرة من عالم يتولَّى منصبًا رسميًا في الدولة، ولكنه موقف مسؤول فيه أمام الله، وأمام الأمة، قبل أن يكون أمام حاكمه، بالرغم من موقف التأييد الرسمي لسلطنة عُمان لاتفاق السلام بين الإمارات و(إسرائيل)... على كلٍّ، حكمُ الشرع في المسألة حكم قطعي ولا خلاف عليه عند المسلمين، وهو إن أخذ صورة أن هناك من يؤيده من العلماء فهذا متعلق بتفريط هؤلاء العلماء بالشرع، وبيع أنفسهم ودينهم للحكام وليس أكثر... ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾

أردوغان يلوح بإمكانية اتخاذ خطوات لتعليق العلاقات الدبلوماسية مع أبوظبي أو سحب السفير

أوردت وكالة أنباء الأناضول التركية الرسمية في شريط عاجل على لسان أردوغان قال فيه: «نقف إلى جانب الشعب الفلسطيني، لم ولن نترك فلسطين لقمة سائغة لأحد أبدًا... يمكن أن نتخذ خطوات لتعليق العلاقات الدبلوماسية مع إدارة أبوظبي أو سحب سفيرنا». وكانت وزارة الخارجية التركية قد عقّبت على إعلان اتفاق السلام، مؤكدة على أن «قيام الإمارات بالسعي لتحقيق مصالح سرية من خلال الخطة الأمريكية التي وُلدت ميتة، يعتبر تجاهلًا لإرادة الشعب الفلسطيني». وأضافت الخارجية وفقًا لما نقلته الأناضول: «الإدارة الإماراتية لا تمتلك أية صلاحيات تسمح لها بالبدء بمفاوضات مع إسرائيل بشكل يخالف إرادة الشعب والإرادة الفلسطينية، وتقديم تنازلات في مواضيع تعتبر مصيرية بالنسبة لفلسطين» في ظل إعلان هذا الموقف الرسمي التركي قالت السفارة (الإسرائيلية) في تركيا على صفحتها الرسمية بتويتر: «أيام تاريخية تحصل.. نأمل أن اتفاق السلام الموقع بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة سيقود إلى الاستقرار والأمن في الشرق الأوسط." وأرفقت السفارة (الإسرائيلية) في تغريدتها مقطع فيديو نشره الموقع الرسمي لدولة إسرائيل على تويتر يجمع مقاطع وصورًا لـ(إسرائيل) والإمارات، بتعليق قالت فيه: «إسرائيل ترحب بمعاهدة السلام التاريخية بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة».

الوعي: انظروا إلى هذا النفاق الأردوغاني الفاضح، إنه يهدد، بل يلوِّح، بل أقل من ذلك **يمكن** أن يتخذ خطوات لتعليق العلاقات الدبلوماسية مع إدارة أبوظبي أو سحب سفيره منها. لماذا هذا النفاق؟ أليس لديك سفارة ناشطة في (إسرائيل)؟ ولـ(إسرائيل) سفارة ناشطة في تركيا؟

فلماذا لا تأمر بسحب سفيرك منها وتقطع العلاقات معها، طالما أنها هي المتآمر الأول على القضية الفلسطينية. ثم ها هي سفارة (إسرائيل) في تركيا تعلن ترحيبها بمعاهدة السلام وتعلن أنها تاريخية... إنك فعلًا، يا سيد أردوغان، لا تستحي؛ فلذلك تفعل ما تشاء.

وزير الخارجية (الإسرائيلي) السابق سلفان شالوم: أردوغان فتح لنا أبواب العالم العربي والإسلامي

كشف وزير الخارجية (الإسرائيلي) السابق ووزير التطوير الإقليمي سلفان شالوم، أنه خلال توليه هذين المنصبين (من سنة ٢٠٠٣ حتى ٢٠١٦)، قام بزيارات لعدة دول خليجية وعربية وإسلامية بشكل عام، والتقى عددًا من المسؤولين هناك، وأن قسمًا كبيرًا من هذه اللقاءات تم بمبادرة من الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، وبعضها تم على الأراضي التركية. وقال شالوم في حديث مع إذاعة محلية في تل أبيب إن «أردوغان كان حريصًا على توسيع علاقات إسرائيل بالدول العربية والإسلامية، مقابل قيام إسرائيل بمساعدته على الانضمام للاتحاد الأوروبي». وأضاف: «كنت وما زلت مقتنعًا بأن إقامة علاقات بين إسرائيل والدول العربية قبل تسوية الصراع مع الفلسطينيين، يمكن أن يساعد أكثر على تسوية هذا الصراع. وقد شرحت هذا لأردوغان ولكل من التقيته من قادة الدول العربية والإسلامية. وقد نظَّم لي أردوغان عددًا من هذه اللقاءات، بينها لقاء مع وزير الخارجية الباكستاني».

الوعي: إن أردوغان هذا هو أكبر كذبة ضد الإسلام في هذا الزمان وتجاه هذا التصريح من هذا الوزير ليس أمام أردوغان إلا أن يرد عليه ويكذبه، أو يسكت ويكون سكوته دليل موافقة على هذا الكلام. فمثل هذه التصريحات تعتبر رسمية، وقائلها مسؤول عنها، والمقولة بحق أردوغان تلزمه ما لم ينفِها أمريكي.

التطبيع مع إسرائيل.. مسؤول أميركي كبير: كل بلد له جدول زمني خاص به

قال مسؤول أمريكي كبير يرافق وزير الخارجية مايك بومبيو في جولته العربية الأخيرة التي يقوم بها في عدد من دول الشرق الأوسط من أجل تشجيع دول عربية على تطبيع علاقاتها مع إسرائيل أسوة باتفاق السلام التاريخي مع الإمارات العربية المتحدة... قال إن المنطقة ترى في الاتفاق الإماراتي (الإسرائيلي) كل الأسباب الجيدة للتطبيع مع (إسرائيل) وخاصة دول الخليج. وحول خطوات التقارب بين الدول العربية و(إسرائيل)، أشار المسؤول إلى أن «كل بلد له جدول زمني خاص به وعمليته الخاصة». وأضاف: «تمكنا من التوسط في اتفاق بين الإمارات وإسرائيل، ونود أن نرى المزيد من الدول تطبع مع إسرائيل». وأشار المسؤول الأمريكي إلى أن البحرين ستتخذ أي قرار بشأن علاقاتها الثنائية مع الدول الأخرى بطريقة تصب في مصلحة شعبها و«نحن نحترم ذلك». وأكد المسؤول الأمريكي أن الاتفاقية الإماراتية (الإسرائيلية) يُنظر إليها على أنها ناجحة جدًا إقليميًا. وأشار إلى أن قيادة دولة الإمارات العربية المتحدة يمكنها

أن تمهد الطريق أمام الدول الأخرى.

الوعي: نعم، إن هذه الاتفاقات الخيانية التي تحدث في إطار «صفقة القرن» هي صفقة حكام فحسب، ولا دخل للأمة بها لا من قريب ولا من بعيد، وهي تصب باتجاه المفاصلة بين الحق والباطل، فمصر التي دخلت في اتفاقية كمب ديفيد للسلام مع (إسرائيل) منذ ١٩٧٩م، لم يستطع حكامها أن يجعلوه سلام شعوب، وكذلك الأردن، ولن يكون لغيرهم من الحكام، فالأمة واحدة في إخلاصها لدينها، والحكام سواء في الخيانة...

هل استخدمت بكين الإيغور لتجربة لقاحات كورونا؟

اعتبر مستشار المؤتمر العالمي للإيغور إركين صديق، وهو إيغوري يحمل الجنسية الأميركية ومؤسس أكاديمية الإيغور، أن «المجتمع الدولي لا يزال يفشل في فهم حجم وشدة الانتهاكات» التي تمارسها الصين تجاه أقلية الإيغور المسلمة. وقال صديق لموقع (باي لاين): إن الوضع في شينجيانغ «أسوأ بكثير» مما يتم الإبلاغ عنه، مؤكدًا أن «الموت» في كل مكان الآن، بعد لجوء الصين لأقلية الإيغور، لإجراء تجاربها على لقاحات ضد فيروس كورونا المستجدِّ. ويقول صديق إن الرئيس الصيني شي جين بينغ، اتخذ قرارًا سريًا، عام ٢٠١٤م، بـ «قتل ثلث الإيغور، وحبس ثلث آخر منهم، وتحويل الثلث الثالث إلى أيديولوجية الحزب الشيوعي الصيني. وأشار إلى أن ثلث الإيغور التي اختارت بكين اعتقالهم يخضعون لاختبارات قسرية للقاحات ضد فيروس كورونا، إضافة إلى العمل الإجباري الشاق. وأوضح أن من تختارهم الصين للبقاء على قيد الحياة من الإيغور، غالبًا ما يكون لديهم أفراد من عائلاتهم يعيشون خارج الصين حتى لا ينقلوا الصورة السلبية عن بكين في الخارج، بحسب قوله. وقال: «منذ أن بدأ فيروس كورونا، تقوم الحكومة الصينية بتجربة اللقاحات على جميع سكان الإيغور، أخذت الحكومة شخصًا واحدًا من كل عائلة - حوالى ١٦٥ شخصًا ووضعتهم في مستشفى بعيد في عزل انفرادي» وتابع: «كل الأشخاص الذين أخذتهم الحكومة للمستشفى في أعمار صغيرة، لم يختبروا اللقاحات على أحد كبير في السن»، ثم تساءل «هل تقوم الصين بحقن هؤلاء الأشخاص بفيروس كورونا قبل منحهم اللقاح؟».. وإذا كان ما يقوله صديق، صحيحًا، وإذا كانت بكين تهدف في النهاية إلى قتل ثلثي إجمالي الإيغور، فإن المجتمع الدولي يواجه الآن احتمالًا حقيقيًا بأن الصين في طريقها لقتل ١٠ ملايين إيغوري في شينجيانغ، وهذا العدد من شأنه أن يجعل هذه العملية أكبر إبادة جماعية لأقلية دينية أو عرقية في العالم.

الوعي: هذا الوضع المأساوي الذي يعيشه المسلمون في كل مكان في العالم، هو مما يجعلهم يشعرون أنهم أمة واحدة، وفي مقابله يجب عليهم أن يتوحدوا للعمل لإقامة الدولة الجامعة التي تجمعهم، دولة الخلافة، التي يعرف العدو قبل الصديق من تكون.

قال الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾ ﴾.

جاء في كتاب التيسير في أصول التفسير لمؤلفه عطاء بن خليل أبو الرشته أمير حزب التحرير حفظه الله ما يلي:

بعد أن ذكر الله سبحانه النفقة في سبيل الله، وأن لا يكون منٌّ ولا أذى فيها ولا رياء، وأن تكون من الحلال الطيب وليس من الخبيث، وبعد أن بيّن الله سبحانه الإخلاص في النفقة ابتغاء وجه الله وأجرها العظيم بالليل والنهار وفي السر وفي العلانية.

بعد ذلك ذكر الله الربا وعظم جريمته وتحريمه الشديد، وأن ليس لأهله إلا رؤوس أموالهم لا يظلمون غيرهم بالربا ولا يُظلمون بذهاب رأس مالهم.

ثم ذكر سبحانه بعد ذلك إمهال المدين والصدقة عليه بإعفائه من دينه كله أو بعضه.

بعد ذلك ذكر الله أحكامًا تتعلق بالدين في الحضر والسفر:

أمر الله سبحانه المؤمنين إذا تعاملوا بالدَين أن يكتبوا دينهم ويُشهدوا عليه رجلين، أو رجلًا وامرأتين طاعة لله وحفظًا لدَيْنهم، وحَثَّهم على ذلك مهما كان صغيرًا أو كبيرًا ما دام تعاملًا بالدين، ودفع عنهم الحرج إن كان بيعًا حاضرًا.

كما حرَّم الله سبحانه أن يؤذى الشهود، أو من يكتبون الدَّيْن، كأن يُضغط عليهم أو يكرهوا

لتغيير الوقائع، وأمرهم الله سبحانه أن يلتزموا الشرع في ذلك، ويدركوا أن الله لا تخفى عليه خافية فهو سبحانه عالم الغيب والشهادة ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ خطاب للمؤمنين.

﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ إذا تعاملتم بالدين.

و(الدَيْن) كل معاملة بيع يكون فيها أحد العوضين حاضرًا والآخر غائبًا، وينطبق هذا على القرض كأن تعطي رجلًا مالًا ليسدده لك فيما بعد فهذا دين كذلك، وعلى كل بيع إن سُلِّمتِ السلعةُ وأُجِّل الثمنُ كدين على المشتري كما تشمل بيع السلم كذلك بأن يعجل الثمن وتسلم السلعة بعد أجل، كل ذلك يدخل تحت مدلول (الدَين).

﴿بِدَيۡنٍ﴾ تأكيد إلى ﴿إِذَا تَدَايَنتُم﴾ وفيه زيادة فائدة أن يرجع إليه الضمير في ﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ فلو لم يذكر ﴿بِدَيۡنٍ﴾ وقيل (إذا تداينتم إلى أجل مسمى) لذكر(فاكتبوا الدين) بدل﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ وهنا لا يكون النظم بذلك الحسن كما في الآية الكريمة عند ذوي الذوق العارف بأساليب الكلام.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ أي إلى وقت معلوم.

وأخرج البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: «أشهد أن السلف المضمون إلى أجل مسمى أن الله تعالى أحلَّه وأذن فيه. ثم قرأ الآية» والسلف والسلم بمعنى واحد.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ﴾ قال: نزلت في السلم في كيل معلوم إلى أجل معلوم.

ونزول الآية في السلم لا يمنع أن تنطبق على كلّ دين؛ لأن لفظ {دين} ورد في الآية مطلقًا دون قيد إلا تقييده بالأجل المسمى، فكل دين في بيع السلم أو غيرها يأمر الله سبحانه بكتابته.

﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ أمر من الله سبحانه بكتابته، والأمر يفيد الطلب، وقد وردت أقوال في هذه الكتابة إنها للوجوب أو الندب أو الإباحة المتضمن معنى الإرشاد، وهذه الأخيرة تعني عند قائليها أن فيها مصلحة دنيوية راجحة أي أن هذا المباح (الكتابة) أولى من غيره لحفظ الدَين والابتعاد عن التنازع.

وحيث إنَّ الأصل في الأمر (الطلب) والقرينة هي التي تعين الحكم الشرعي للوجوب أو الندب أو الإباحة، فإنه بتدبر الآية الكريمة يتبين ما يلي:

أ. لا توجد قرينة تفيد الطلب الجازم من حيث ترتيب العقوبة على عدم الكتابة أو أية قرينة جازمة حسب ما هو معروف في الأصول، فلا تكون الكتابة فرضًا.

ب. هناك قرائن تفيد ترجيح الكتابة من عدمها:

= ﴿وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ﴾.

= ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾.

= ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾.

= ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

= ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾.

وكل هذه تفيد أن الكتابة أرجح من عدمها.

إلا أن بعضها يفيد أن الترجيح لمصلحة دنيوية مثل: ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ فهي لقطع التنازع في الحق، وأفضل لأنها تؤكد قول الشهداء وتيسر الأمر عليهم.

ولو اقتصرت على ذلك لأفادت الإباحة المتضمنة للإرشاد، غير أن بعضها يفيد أن الترجيح للثواب أي للندب مثل قوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

وهذه قرينة على أن الأمر بالكتابة هو للندب، وبالتالي يكون المعنى:

الندب للمؤمنين أن يكتبوا الدين الواقع بينهم والمؤجل سداده إلى وقت محدد معلوم.

أما الدين المؤجل سداده إلى وقت غير محدد فليس مندوبًا كتابته بل هو على الإباحة؛ وذلك لأمرين:

الأول: إن الآية قيدت الدَين المندوب كتابته بأجل مسمى وهو وصف مفهم فله مفهوم ويعمل به، أي أن الأمر بالكتابة على الوجه المبين في الآية لا يشمل الدَين لأجل غير مسمى.

الثاني: إن الله في الآية التالية يقول: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ أي أن هذه الحالة وهي أن يأتمن الدائن والمدين بعضهما بعضًا مستثناة من الأمر بالكتابة على الوجه المبيَّن في الآية، بل على الإباحة: إن شاء كتب، وإن لم يشأ لم يكتب.

والذي يعامل غيره بالدَّين ولا يحدد له أجلًا للسداد أي يقول له: أدّ إلي الدين في الوقت الذي تريد يكون داخلًا تحت قوله سبحانه ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ لأنه لا يترك للمَدين سداد الدين في أي وقت يشاء إلا أن يكون مؤتمنًا له.

وهكذا تكون الآية مبينة:

أ. أن الحكم الشرعي بكتابة الدين المؤقت سداده بوقت معلوم هو الندب.

ب. والحكم الشرعي بكتابة الدين في حالة كون كل من الدائن والمدين قد ائتمنوا بعضهم بعضًا، هو الإباحة: إن شاؤوا كتبوا، وإن لم يشاؤوا لا يكتبوا.

ويدخل في ذلك الدَين غير المؤقت سداده بوقت معلوم؛ حيث إن هذا يعني أنهم قد ائتمنوا بعضهم.

والآية لا تبيِّن حكم تسمية الأجل لسداد الدين، فهذه تتعلق بكل حالة من حالات الدين

وتدرس نصوص كلّ حالة، فمثلًا في بيع السلم، فإن تعيين الأجل وتحديده شرط في صحة بيع السلم فيجب أن يكون الأجل معلومًا علمًا ينفي عنه الجهالة كأن يدفع الثمن عاجلًا ويقال: تسليم السلعة - القمح مثلًا - في تاريخ كذا بتحديد ينفي الجهالة، ذلك لحديث رسول الله ﷺ المشار إليه سابقًا الذي أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وهم يستلِفون في الثمار السنتين والثلاث، فقال رسول الله ﷺ: «**من أسلف في ثمر فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم**»[1] فجعله ﷺ شرطًا في بيع السلم.

﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبُۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾ (الباء) إما متعلقة بـ﴿وَلْيَكْتُب﴾ أو بـ﴿كَاتِبُۢ﴾.

فإن كانت على الأول أي وليكتب بالعدل بينكم كاتب، أي أن المطلوب أن تكون الكتابة بالعدل وإن لم يكن الكاتب عدلًا، أي لو كان غير مسلم وكان جيدًا في الكتابة غير متحيز مأمونًا، فإن ندب الكتابة يتحقق به.

وإن كانت على الثاني - أي تعلقت الباء بالكاتب - فإن المعنى يكون: وليكتب بينكم كاتب عدل: أي أن يكون الكاتب عدلًا، وهذا يعني مسلمًا غير ظاهر الفسق، يتقي الله في كتابته، يفقه ما يكتب ويحسنه.

والراجح هو الثاني بقرينة ما جاء بعدها ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ﴾ والذي لا يرفض أن يكتب لأن الله علمه الكتابة ومَنَّ عليه من فضله هو المسلم العدل.

ولذلك يكون المعنى (وليكتب بينكم كاتب صفته أنه عدل، أي مسلم غير ظاهر الفسق فقيه لما يكتب مأمون فيه).

وأما ذكر ﴿بَّيْنَكُمْ﴾ للدلالة على أن الكاتب مختار من الطرفين غير متحيز لأحدهما وأن يكون غيرهما، أي أن لا يكون الكاتب أحد الطرفين ولا مرتبطًا أو متحيزًا لأحد الطرفين، بل يكتب ﴿بَّيْنَكُمْ﴾ فهو كاتب محايد.

﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ﴾ لا يرفض الكاتب أن يكتب، والرفض هنا على الكراهة؛ لأن النهي عن رفض الكتابة لم تصحبه قرينة جازمة فهو نهي غير جازم أي مكروه.

﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ﴾ أي لا يرفض الكتابة بل يكتب بسبب أن الله مَنَّ عليه بتعليم الكتابة، فيساعد الآخرين بالكتابة لهم شكرًا لله على توفيقه له بتعلم الكتابة بعد أن لم يكن يعلمها، وهذه كما قلنا قرينة على أن الكاتب المخاطب مسلم عدل يدرك نعمة الله عليه بتعليمه الكتابة؛ ولذلك فعلى الدائن والمدين أن يختارا كاتبًا عدلًا للكتابة بينهما.

﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ أمر بالكتابة، وهو على الندب بدلالة ذكر الله قبلها ﴿أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ

١ البخاري: ٢٠٨٥، مسلم: ٣٠١٠، النسائي: ٣٠٠٤، ابن ماجه: ٢٢٧١

﴿ٱللَّهُۚ﴾ أي كما علمه الله الكتابة بعد أن لم يكن يعلمها؛ فليحسن للآخرين بالكتابة إليهم إن كانوا في حاجة إليه.

﴿وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ﴾ وهو كذلك مندوب لأن الكتابة بناء عليه.

﴿فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ﴾ وتذكيره بالتقوى يؤكد الندب كذلك ﴿وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ﴾.

﴿وَلۡيُمۡلِلِ﴾ من الإملال أي الإلقاء على الكاتب ما يكتبه، وفعله أمللت.

﴿ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ﴾ أي المدين، فهو الذي يذكر للكاتب الدَين الذي عليه زيادة في التوثيق، فاعتراف المدين بالدين أقوى من ادّعاء الدائن أن له دينًا، فالمدين هو الذي يملل على الكاتب.

﴿وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ تذكير له بتقوى الله وحثّ له على الصدق في القول وتحرِّي الحقّ فيما يقول.

﴿وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ﴾ أي لا ينقص من الحق شيئًا، وذكر ﴿شَيۡـٔٗاۚ﴾ وتنكيرها للدلالة على عدم تنقيص أي جزء من الحق مهما كان قليلًا.

﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا﴾ أي إذا كان الـمَدين ﴿سَفِيهًا﴾ والسفيه الجاهل خفيف العقل بذيء اللسان، وهي هنا (بذيء اللسان) وهو الذي إن ترك له الإملال على الكاتب سيأتي كلامه سيئًا.

يقول: سافهه: شاتمه، وفي المثل: سفيه لم يجد مسافهًا، فالسفيه بذيء اللسان.

﴿أَوۡ ضَعِيفًا﴾ أي ضعيف الرأي لا يستطيع ترتيب الأمور أو إخراج الكلام على نسق، فإن ترك له الإملال فقد يقدم أو يؤخر أو يأتي بالكلام مضطربًا فيفسد المعنى.

﴿أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ أي لا يمكنه الحديث الواضح لعيّ في لسانه أو خرس كما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما -.

وما قلناه سابقًا هو الراجح لدينا وذلك لأن الآية تفيد:

أ. إن الأصناف التي تمنع من الإملال لا يمنع تعاملها بالدَّين لأن الآية تبدأ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ﴾ فتعاملهم بالدَّين صحيح شرعًا، وعليه لا يصحّ أن يكون في تفسير ﴿سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ مثل المجنون أو المحجور عليه أو الصغير الذي لا تصح عقوده أو أمثالهم.

ب. كذلك فإن تفسير هذه الأصناف بالغائب مرجوح كذلك لأن الآية ترجح وجود الـمَدين لكنه لا يستطيع الإملال ﴿وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾.

ج. لا يصحّ تفسير الأصناف الثلاثة أو صنفين مثلًا بمعنى واحد لأن الآية تدل على أنهم أصناف ثلاثة، وكلّ صنف غير الآخر ﴿سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾.

د. أن يكون للتفسير أصل في اللغة.

وبناء عليها أقول: إن ما ذكرته في التفسير هو الراجح فيها.

وهذه الأصناف الثلاثة تُمنع من الإملال على الكاتب وُيملي على الكاتب بدلًا منها وليهم.

وعلى الولي في هذه الحالة أن يُملي بالحق عمَّن ولاَّه فلا يغير شيئًا من الحق الذي على وليه لا بالزيادة ولا بالنقصان بل يملي بالحق، والحق وحده فهو قائم مقام المدين.

﴿هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ الضمير هنا عائد إلى من عليه الحق أي المدين، فهو يعني (ولي المدين).

﴿بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ يعود على الإملال لأن الولي وبخاصة الشرعي منه محدد في الشرع كأبيه أو ابنه أو أخيه أو ما يقرره الشرع، وحيث قد عُيِّن الولي فيصبح المطلوب أن يملل هذا الولي على الكاتب بالعدل أي بالحق والصدق.

﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ﴾.

يبين الله سبحانه أن يُشهد الطرفان على الكتابة رجلين أو رجلًا وامرأتين لتذكر إحداهما الأخرى إن نسيت بعض الوقائع.

وأن يكون الشهداء عدولًا وذلك بدلالة ﴿مِن رِّجَالِكُمۡۖ﴾ أي منكم وبدلالة ﴿مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ وحيث إنَّ الخطاب من بدايته للمؤمنين، أي أن يكون الشهداء ممن يرضاهم المؤمنون، وهذا يعني أن يكونوا عدولًا مسلمين أي أن الإسلام ظاهر عليهم في تصرفاتهم، وأن يكون الفسق - مخالفة أحكام الإسلام - غير ظاهر عليهم، فهم بذلك يكونون عدولًا تقبل شهادتهم.

﴿فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ﴾ رجل رفع على الابتداء ﴿وَٱمۡرَأَتَانِ﴾ معطوف عليه، والخبر محذوف أي إن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان يقومون مقامهما، وهي تفيد كذلك أن شهادة امرأتين مع رجل تقبل سواء كان هناك رجال أم لا، أي إن لم يأتِ الطالب برجلين فليأتِ برجل وامرأتين، فإن أتى بأي الحالتين جاز وليس المعنى أن جواز شهادة رجل وامرأتين لا تصح إلا مع عدم الرجال؛ لأنها لو كانت كذلك لكانت الآية (فإن لم يكن رجلان فرجل وامرأتان) وتكون (كان) تامة بمعنى إن لم يوجد لكن (فإن لم يكونا رجلين) أي إن لم يأتِ بشاهدين رجلين فله أن يأتي بشهود رجل وامرأتين.

﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ﴾ أي إن شهادة امرأتين مكان واحدة لأجل أن

تذكر الواحدة الأخرى لو نسيت جزءًا من الوقائع.

﴿أَن تَضِلَّ﴾ في محل نصب مفعول لأجله.

وتكرار (إحداهما) بدل القول (أن تضل إحداهما فتذكر الأخرى) وذلك للمبالغة في الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال - بإحداهما - بعينها والتذكير بالأخرى بل المقصود أن التي تنسى تذكرها الأخرى وقد تكون هذه أو تلك.

﴿أَن تَضِلَّ﴾ أي أن تنسى، والضلال عن الشهادة إنما هو نسيان جزء منها وذكر جزء ويبقى المرء حيران بين ذلك ضالًا، ومن نسي الشهادة جملة فليس يقال ضلّ فيها.

ومن الجدير ذكره أن قبول شهادة النساء في المعاملات المالية جعلها الله سبحانه بهذه الكيفية اثنتين مقام واحد من الرجال، ودلالة الآية ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ تفيد أن احتمال نسيان النساء كشاهدات في وقائع المعاملات المالية أكبر من احتمال نسيان الرجال ولعل ذلك بسبب قلة تواجد النساء في المعاملات المالية، فحضورهن لجميع الوقائع المالية أقل من تواجد الرجال وحضورهم، فكانت اثنتان تكملان شهادة بعضهما إن نسيت واحدة بعض الوقائع أو فاتها الحضور الكامل لها ذكرتها الأخرى وأكملت الشهادة، وهي في هذه الحالة كأنها بعدم متابعتها أحداث الواقعة المالية بحذافيرها تقوم مع أختها مقام رجل واحد لمتابعته أحداث الواقعة بدرجة أكبر وذلك بسبب اختلاف واقع حضور الرجال والنساء كشهود على الوقائع المالية الجارية، لأن الشهادة يجب أن تكون بناء على حضور واضح لا لبس فيه للواقعة.

ويؤكد ذلك أن شهادة النساء، واحدة أو أكثر، في الأمور التي توجد فيها النساء عادة كالولادة والإرضاع وأمثالها، هي المعتمدة.

﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ أي إذا دُعي الشهود ليشهدوا على كتابة الدين فليلبوا ولا يرفضوا، والنهي هنا للكراهة لعدم وجود قرينة تفيد الجزم فهو نهي غير جازم.

أي يكره لمن دعي ليشهد على كتابة الدين فرفض ولم يذهب.

﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾ أي لا تضجروا من كتابة الدين إلى أجله مهما كانت قيمة الدين، وهذا ترغيب على الكتابة.

﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي أعدل.

﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾ أثبت لها.

﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ أي أقرب إلى انتفاء الريب والشك.

وهذه كلها ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ قرينة - كما بيَّنا سابقًا -.

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ﴾ استثناء منقطع بمعنى (ولكن إذا كانت تجارةً حاضرةً بينكم يدًا بيدٍ لا دَين فيها ولا حرج عليكم ألا تكتبوها أي مباح لكم الكتابة وعدمها).

﴿وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡ﴾ وهو عائد على التجارة الحاضرة والأمر هنا على الإباحة لأنه خلو من القرائن وليس قربة، فالشهادة على التجارة الحاضرة مباحة.

﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ﴾ أي لا يؤذى أي منهما سواء بإجبارهما عليها أو الضغط عليهما للكتابة والشهادة بغير الحقيقة أو إثقال كاهلهما بالحضور للشهادة بما يشق عليهما سواء من حيث النفقة أم المشقة، بل معاملتهما بالحسنى والتيسير عليهما.

ومضارة الكاتب والشهود هنا على التحريم بقرينة ﴿وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ﴾ فهو وصف مفهم يفيد النهي الجازم عن المضارة أي أنها حرام.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ﴾ أي قوا أنفسكم غضب الله وعقابه واخشوه سبحانه.

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ أي يعلمكم أحكام شرعه فالتزموها.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٢٨٢﴾ فهو سبحانه لا تخفى عليه خافية فيعلم حقائق الأمور ويجزيكم بكل ما تعملون.

ولا يقال إن لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُۗ﴾ قد ورد مكررًا ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٢٨٢﴾ فإن هذا ليس تكرارًا مجردًا، بل كلّ منهما بمعنى مستقل زيادة في تعظيم الله سبحانه وعلوّ شأنه، فهو سبحانه أهل التقوى، وهو الذي يستند العلم إليه. فكلّ علمٍ بما منَّهُ الله على عباده مما خلقه في الأشياء وفيهم من خصائص ومكونات وإمكانيات فطرية وعقلية لتعلم ما لم يكونوا يعلمونه، فهو سبحانه صاحب المنة بالعلم على مخلوقاته.

وفي ختام الآية اختصاص الله سبحانه بالعلم الأزلي الذي يحيط بكل شيء فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض.

ولذلك فتكرار اسمه سبحانه ﴿ٱللَّهُ﴾ - جل جلاله - ليس تكرارًا مجردًا، بل كلٌّ بمعنى مستقل، وهو في الوقت نفسه متصل بالمعاني الأخرى في نظم عظيم يأخذ بالألباب، فسبحان الله خالق الأرض والسماء وكل شيء عنده بمقدار!. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

لولا المصائب لوردنا يوم القيامة مفاليس (٢)

من الوصايا التي يُوصى بها الـمُبتلى حتى يكون تعامله مع المرض تعاملًا شرعيًا:

-**الإيمان بأن البلاء هو ابتلاء من الله تعالى**، على المسلم أن يستحضر في نفسه دائمًا أنه خلق في هذه الدنيا لعبادة الله عزَّ وجلَّ، قال جلَّ وعلا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾، وأن هذه الدنيا هي دار ابتلاء، قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ فهو سبحانه خلقه واستخلفه فيها ليعمرها، وأثناء تحقيق هذه الخلافة لابد من أن تصيبَه الأقدار، وإنه على قدر إيمان المؤمن يكون ابتلاؤه، روى الترمذي في سننه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «**الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**». والمرض أو المصيبة من هذه الأقدار، فكان المرض إرادة الله لعباده، ليكفّر عنهم ذنوبهم، وليعرِفوا قيمة الصحة، وليقدِّروا نِعَمَ الله عز وجل حقَّ قدرها، وليشعُروا بضعفهم أمام قوة الله عز وجل، ولتكونَ فترات المرض محطات عظة وتذكُّر، يعود بعدها المريض إلى واحة الإيمان بالله. ومن هنا يأتي:

- **إحسان الظن بالله تعالى** بأن الله تعالى يريد به في هذا المرض أو في هذا الـمُصاب خيرًا، روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ شَرًّا فَلَهُ**».

- **الصبر وعدم الجزع والسخط، والاحتساب**، والصبر المطلوب هو الصبر الجميل، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾﴾. والصبر الجميل هو صبر بلا ضجر، بلا قلق، بلا اعتراض... هو صبر باللسان والقلب معًا، وليس كما ترى لسانه راضيًا ولكن قلبه يقول: لماذا يا رب؟ فمن اتفق لسانه وقلبه فهو الصابر صبرًا جميلًا. أما احتساب الأجر عند الله، فإنه ما نزل بالعبد من مرض أو مصيبة فحمد الله عز وجل وصبر واسترجع، إلا أعطاه الله من الأجر ما لا يعلم، قال سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ وقد بيَّن النبي ﷺ أن من يصبر على فقد (موت) ولده ولا يجزع، بل يسترجع ويحمد الله، أن الله يبني له بيتًا في الجنة جزاءً على صبره وشكره، قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات ولد العبد، قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى: اِبنوا لعبدي بيتًا في الجنة، وسمُّوه بيت الحمد**» رواه الترمذي، وقال حديث حسن.

- **الإيمان بأن البلاء يكشف عن حب الله للعبد المُبتلى، وأنه يريد أن يفتح له باب الجنة،** فإذا صبر العبد واحتسب كُتب في ديوان الصابرين. ويكفي الصابرين شرفًا أنهم في معية الله وحفظه ورعايته، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾، وإذا حمد العبد وشكر كتب في ديوان الشاكرين. ويكفي الشاكرين شرفًا أن الله وعدهم الزيادة، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾، بل وأكثر من ذلك، إن أهل العافية يوم القيامة يتمنَّون لو أن جلودهم وأجسادهم كانت تقرض بالمقاريض، لما يرَون من ثواب أهل البلاء والأمراض عند الله.

- **الإكثار من ذكر الله ودعائه والإلحاح عليه فيه،** قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾ وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾. وعلى هذا فإن المرضَ أو الضرَّ يقرِّب العبد من الله ويوجد عنده انكسارًا بين يدي الله عز وجل، ويكون سببًا للدعاء، فكم من أناس أعرضوا عن اللجوء إلى الله فمرضوا فلجؤوا إليه خاشعين منكسرين مخلصين له الدعاء ما يزيد في إيمانه ويقينه. يقول وهب بن منبه: ينزل البلاء ليستخرج به الدعاء، قال سبحانه: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ٥١﴾.

- **على المسلم أن يؤمن بقضاء الله وقدره والأخذ بالأسباب لمواجهة هذا البلاء وعدم الاستسلام له،** قال ﷺ: «**واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك**». وقال سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩﴾؛ ولكن مع تقبل المسلم لقضاء الله وقدره، عليه أيضًا أن يحاول الخروج من هذا الابتلاء، وأن يأخذ بالأسباب؛ فالأسباب من قدر الله، وعلى المسلم الأخذ بها، فمن مرض فعليه التداوي لأن المرض قضاء والدواء قدر الله فيه خاصية العلاج، فنجاح الدواء في علاج المرض مرهون بقدر الله عز وجل الذي لم يخلق داء إلا وخلق له دواء. وبالإيمان

بالقضاء والقدر تستقر حقيقة الإيمان في القلوب.

- **على المسلم أن يكون تعلُّق قلبه بأن الله سبحانه هو الشافي للمرض والكاشف للضر**، ولا شفاء إلا شفاؤه، ولا كاشف للهمِّ إلا هو، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٨٠].

وهنا على المسلم:

أ- أن يرقي نفسه بالرقية الشرعية، كالفاتحة والمعوذتين وآية الكرسي، والأدعية المأثورة كقوله: ﷺ «**اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ الْبَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**» ومنها قولهﷺ للمريض: «**ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**».

ب- أن لا ييأس من الشفاء، فالله على كل شيء قدير، فالله سبحانه الذي طلب من المسلم أن يؤمن أن المرض من الله، وأن الشفاء منه، يطلب منه أن لا ييأس منه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ وهو سبحانه ذكر لنا في القرآن كيف أن أيوب عليه السلام مكث في البلاء ثماني عشرة سنة ثم كشف الله عنه الضرَّ وشفاه. قال تعالى: ﴿۞وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

ج - أن لا يشكو العبد مرضه أو مصيبته إلى أحد إلا إلى الله، فيصبر على ألمه، فهو يعيش مع مرضه من غير أن يشعر به ولو أقرب المقربين منه، وإذا ظهر منه شيء فلسانه معقود على الاستغفار والحمد والشكر والصبر... فإن فعل فإنه ينطبق عليه قول الرسول ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير؛ أن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيرًا له، وليس ذلك إلا للمؤمن**». ولو تعمَّق أكثر لتفهم حديث الرسول ﷺ أكثر، ولحصل له من الإنابة وحلاوة الإيمان ما هو أعظم من زوال المرض. ففي الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط**» أي من رضي بما ابتلاه الله به فله الرضا منه تعالى، وجزيل الثواب. ومن سخط أي: كره بلاء الله وجزع ولم يرضَ بقضائه فله السخط منه تعالى وأليم العذاب، وعن أبي

هريرة رضي الله عنه أنه قال: «**من يرد الله به خيرًا يصب منه**». فالمرض رحمة من الرب للعبد، فالله عز وجل خلق العباد ليرحمهم لا ليعذبهم. قال سبحانه: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾. ولكن أكثر النفوس جاهلة بالله وحكمته، ومع هذا فالله يرحمها لجهلها وتفهمها، وقد ورد في الأثر أن العبد إذا أصابته البلوى فيدعو ربه ويستبطئ الإجابة ويقول الناس: ألا ترحمه يا رب؟ فيقول الله: «**كيف أرحمه من شيء به أرحمه**».

د - زيارة المريض: قال رسول الله ﷺ: «**من عاد مريضًا لم يزل في خُرفة الجنة (يعني جناها) حتى يرجع**». ولقد بلغ من عناية الإسلام بالمريض أن جعل عيادته حقًا من حقوقه على إخوانه المسلمين، ففي الحديث: «**خمس تجب للمسلم على أخيه**»، وعدَّ منها «**وعيادة المريض**». ولم يكتفِ الرسول ﷺ بحثِّ المسلمين على عيادة المرضى، بل كان يعودهم ويخفف عنهم ويسليهم. قال سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه: «إنا والله قد صحبنا رسول الله في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير».

هـ- ومن الأمور التي تهوِّن المصائب: **الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، والوضوء، وتلاوة القرآن الكريم، وتوثيق الصلة بالله سبحانه، والتوبة من كبائر الذنوب**... إلخ.

- **الابتلاء قد يكون لتكفير الخطايا، ومحو السيئات،** كما في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «**ما يصيب المسلم من همٍّ، ولا حَزنٍ، ولا وَصبٍ، ولا نَصبٍ، ولا أذًى حتى الشوكة يشاكُّها إلا كفَّر الله بها من خطاياه**» رواه مسلم... وقد يكون لرفع الدرجات، وزيادة الحسنات، كما هو الحال في ابتلاء الله لأنبيائه، وقول الرسول الله ﷺ: «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل... فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة**» رواه البخاري. قال العلماء: يبتلى الأنبياء لتضاعف أجورهم، وتتكامل فضائلهم، ويظهر للناس صبرهم ورضاهم فيقتدى بهم، وليس ذلك نقصًا ولا عذابًا...

وقد يقع لتمحيص المؤمنين، وتمييزهم عن المنافقين، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾... وقد يعاقب الله المؤمن بالبلاء على بعض الذنوب، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «**إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد العمر إلا البر**» رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، وحسنه السيوطي. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام البخاري... نموذج يحتذى به للعلماء وحملة الدعوة

تيم الله أبو لبن

إنه لا يمكن التقليل من أهمية العلماء الصالحين. فالعلماء هم ورثة الأنبياء كما أخبرنا الرسول ﷺ. وهم كالنجوم التي تتطلع لها بقية الأمة للبحث عن حلول عندما تواجهها محنٌ ومشاكل صعبة. ومع ذلك، فهناك أيضًا من بين العلماء من ذاقوا طعم الدنيا، فهم يشتهون الشهرة والمناصب العليا وأن يشار إليهم بالبنان، ويشعرون بالفخر - وليس بالعار أو بالذنب - عندما يُنظر إليهم وهم على أبواب الحكام الفاسدين. وهؤلاء لا تقوم فتاواهم على ما هو أقرب إلى الحق بل على ما هو أكثر فائدة للطغاة ومصالحهم.

إن العلماء الحقيقيين الذين ارتقَوا إلى مستوى كونهم ورثةً للأنبياء هم الذين ناضلوا في الحياة من خلال النجاح في شيئين:

١- العمل الجاد في البحث عن علوم الدين واكتسابها ونشرها.

٢- والثبات على الحق؛ والسعي لرضا الله سبحانه في علومهم.

كان الإمام البخاري من بين هؤلاء العلماء الحقيقيين، فلم يقتصر على اكتساب معرفة هائلة في الدين، المعرفة التي لم تكن افتراضية أو غير عملية؛ بل إن المعرفة التي اكتسبها ونشرها لم تكن مفيدة لجيله فحسب، بل إنها أفادت هذه الأمة حتى يوم القيامة بفضل الله.

لقد كان البخاري أيضًا مثالًا مشرقًا في الإخلاص؛ فلم يهتم إلى إغراءات مؤقتة في هذه الدنيا، ولم يكن مهتمًا برضا الحكام عنه، بل كانت لديه مصلحة واحدة فقط وهي البحث عن رضا الله سبحانه وتعالى من خلال الدعوة إلى دينه والعمل على الحفاظ عليه حتى يكون دينه هو المهيمن على جميع الأديان الأخرى.

هذه المقالة سوف تعطي ملخصًا موجزًا :

١) للمعرفة التي اكتسبها البخاري: كم كان يعمل بجد لاكتسابها ونشرها.

٢) لوجهات نظر في حياته تُظهر صدقه الذي لا يوصف وحبه للحق والدين.

المختارات المختصرة التالية من حياة البخاري لن تنصف في إعطاء وصف مفصل كامل عن شخصيته وعمله ومحاكماته. ومع ذلك، نأمل أن تكون بإذن الله، نقاطًا مفيدة لحامل الدعوة ولطالب العلم الذي يقرؤها.

حب فطري وشغف بالمعرفة الإسلامية

ولد الإمام البخاري عام ١٩٤هـ في مدينة بخارى في أوزبكستان الحالية، وسمي محمدًا. كان والده، إسماعيل بن إبراهيم، عالمًا أيضًا تتلمذ على أيدي علماء مثل الإمام مالك. ومع ذلك، فإنَّ البخاري لم يعرف والده ولم يحصل على أي علم منه، فقد توفي أبوه عندما كان البخاريُّ رضيعًا.

لم يمنعه كونه طفلًا يتيمًا من البحث عن المعرفة. فقد حفظ القرآن في سن مبكرة جدًا، وبدأ في حفظ الأحاديث أيضًا. فقد طوَّر اهتمامه وهو صبي صغير في تمييز الأحاديث الصحيحة من الضعيفة. وفي سن الخامسة عشرة تقريبًا، يُعتقد أنه جمع تقريبًا كل علوم الحديث في خراسان حيث كان يعيش. حتى إنه حفظ كتب علماء مثل عبد الله بن المبارك.

وفي سن الـ١٦، ذهب في رحلة طويلة من بخارى إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج مع والدته وشقيقه أحمد. غير أنه بعد الانتهاء من الحج، لم يعد إلى بخارى مع عائلته. وعلى الرغم من كونه يبلغ من العمر ١٦ عامًا فقط، إلا أنه كان يعتقد أن الأهم بالنسبة له البقاء في الحجاز حيث يمكنه الوصول إلى العلماء والمعرفة التي لم يكن الوصول إليها متاحًا في بخارى.

كان هذا القرار بترك عائلته لطلب العلم وإفادة الأمة أول علامة رئيسية على إخلاص البخاري وشعوره بالمسؤولية تجاه الأمة، وهو يعيش في عصر لم يتمَّ فيه اختراع الإنترنت ولا حتى آلات الطباعة. وكان واضحًا له أن الكثير من العمل في مجال التحقُّق من أحاديث النبي ﷺ كان ضروريًا حيث لم يكن هناك عمل كامل في جمع أصح الأحاديث في ذلك الوقت.

وفي غضون عامين - عندما كان يبلغ من العمر ١٨ عامًا فقط - أكمل أول عمل له في المدينة المنوَّرة. هذا الكتاب الذي سماه «التاريخ الكبير» لم يكن أي كتاب، بل كان كتابًا يتألف من ٩ مجلدات وأصبح مرجعًا رئيسيًا لعلماء الحديث؛ لأنه عالج المسألة الأكثر تعقيدًا في علم الحديث: مسألة علم الرجال والجرح والتعديل. وأصبح الكتاب على الفور مرجعًا لعلماء الحديث، ولا يزال مرجعًا حتى هذا اليوم لأنه يتضمن السير الذاتية لحوالى ٤٠,٠٠٠ من الرواة من الذكور والإناث.

ومن هناك قام من قمة جبل إلى أخرى، متنقلًا عبر المدن الكبرى في العالم الإسلامي، باحثًا عن

المعرفة ونشرها، وسرعان ما اشتهر واعتبر بأنه أكثر العلماء دراية في الحديث.

وكان عمله الأكثر شهرة وتقديرًا «**الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**» وهو المعروف أيضًا ببساطة بـ»صحيح البخاري»، الذي كان خلاصة أكثر من ٦٠٠,٠٠٠ حديث (٢٣,٠٠٠ بدون المتون المكرَّرة من الروايات) التي جمعها طوال حياته، والتي لم يجمع منها سوى مجموعة من ٧,٢٠٠ (٢,٦٠٠ بدون المتون المكرَّرة من الروايات) والتي شقَّت طريقها إلى صحيحه! وتثبت أصالته من حقيقة أن أيًا من الروايات في صحيحه لا يرويها راوٍ ضعيف.

هذا العمل هو المرجع الأكثر أهمية عندما يتعلق الأمر بسنة النبي ﷺ حتى يومنا هذا.

على الرغم من معرفته الواسعة في الحديث، فإن كتاباته لم تقتصر على علم الحديث، بل إنه كتب حتى في الفقه ومسائل في العقيدة؛ لذا، فقد كان فقيهًا مشرق الإيمان، وهذا بحد ذاته شهادة على إحساسه بالمسؤولية كمسلم وبيان لعمله الشاق المذهل في البحث عن المعرفة.

حادثة الدنانير المسروقة المزعومة

كانت إحدى حوادث البخاري، التي كشفت شخصيته الحقيقية، هي الحادثة الشهيرة للدنانير المسروقة المزعومة؛ حيث ذكر الشيخ عبد السلام المباركفوري في كتابه: (سيرة الإمام البخاري سيِّد الفقهاء وإمام المحدثين) حادثة في حياة البخاري، تكفي لإثبات صدق ومستوى المسؤولية التي تُظهر شعور البخاري العميق تجاه الدين والأمة:

«ركب الإمام البخاري البحر مرة في أيام طلبه وكان معه ألف دينار (وكانت الألف دينار مبلغًا طائلًا في ذاك الزمان)، فجاءه رجل من أصحاب السفينة، وأظهر له حبه ومودته وأصبح يقاربه ويجالسه. فلما رأى الإمام حبه وولاءه، مال إليه وبلغ الأمر أنه بعد المجالسات أخبره عن الدنانير الموجودة عنده. وذات يوم قام صاحبه من النوم فأصبح يبكي ويعول ويمزق ثيابه ويلطم وجهه ورأسه، فلما رأى الناس حالته تلك أخذتهم الدهشة والحيرة وأخذوا يسألونه عن السبب، وألحُّوا عليه في السؤال، فقال لهم: عندي صرة فيها ألف دينار وقد ضاعت! فأصبح الناس يفتشون ركاب السفينة واحدًا واحدًا، وحينئذ أخرج البخاري صرة دنانيره خفية وألقاها في البحر، ووصل المفتشون إليه وفتشوه أيضًا حتى انتهوا من جميع ركاب السفينة، ولم يجدوا شيئًا فرجعوا إليه ولاموه ووبخوه توبيخًا شديدًا. ولما نزل الناس من السفينة، جاء الرجل إلى الإمام البخاري وسأله ماذا فعلت بصرة الدنانير؟! فقال: ألقيتها في البحر! قال: كيف صبرت على ضياع هذا المال العظيم؟ فقال له الإمام: يا جاهل... أتدري أنني أفنيت حياتي كلها في جمع حديث رسول الله ﷺ، وعرف العالم ثقتي، فكيف كان ينبغي لي أن أجعل نفسي عرضة لتهمة السرقة؟ وهل الدرة الثمينة (الثقة

والعدالة) التي حصلت عليها في حياتي أضيعها من أجل دراهم معدودة!!"

هذا التفاني والمثابرة والإخلاص الكامل في جمع السنة النبوية هو شهادة أنه من بين أولئك الذين اختارهم الله سبحانه وتعالى للحفاظ على الدين. قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾.

قام البخاري بتدريس أكثر من ٩٠,٠٠٠ طالب علم طوال حياته، ومن بينهم المحدثَان المشهورَان مسلم والترمذي. فأين كانت الأمة ستكون اليوم بدون صحيح البخاري وصحيح المسلم وسنن الترمذي؟

رفض طلب الحاكم

هذه الحادثة في أواخر عمر البخاري ربما كانت الأكثر أهمية. يعود كرجل عجوز إلى موطنه الأصلي لأول مرة منذ أن تركها في شبابه وأتيحت له الفرصة ليعيش حياة مرموقة. أصبحت هذه الفرصة أكثر احتمالًا عندما تلقى خطابًا من أمير بخارى، خالد بن أحمد الذهلي. فقد روى الخطيب البغدادي في كتابه «تاريخ بغداد»: «أن خالد بن أحمد الذهلي الأمير خليفة الطاهرية ببخارى سأل أن يحضر منزله فيقرأ «الجامع» و«التاريخ» على أولاده فامتنع أبو عبد الله عن الحضور عنده، فراسله أن يعقد مجلسًا لأولاده لا يحضره غيرهم فامتنع عن ذلك أيضًا وَقَالَ: لا يسعني أن أخص بالسماع قومًا دون قوم».

هذا الموقف المذهل من البخاري هو ما يعرّفه في نهاية المطاف بأنه عالم حقيقي ومن ورثة الأنبياء. ما الذي يمكن أن يكون أكثر شهرة من إتيان قصر الحاكم والجلوس معه بشكل خاص وعائلته، من شأنه أن يسأل شخص عادي؟ لا شك في أنه قد تمَّ تقديم تعويض مالي كبير عن التعليم ناهيك عن تعليم أبناء الأمير.

لن يفكر العلماء اليوم لبرهة لو تلقَّوا دعوة من أحد حكام الأمة لحضور فساد رفاهيتهم في قصورهم. على الرغم من أن هؤلاء الحكام يحكمون بغير الإسلام ويطلبون من العلماء إضفاء الشرعية على أعمالهم غير الشرعية.

بالمقابل رفض البخاري طلب الأمير على الرغم من أن أمير بخارى لم يكن يحكم بالكفر البواح كحكام اليوم، بل حكم بالشريعة! كما لم يُطلب من البخاري أن يعطي فتاوى غير مشروعة، بل أن يعلِّم أبناء الحاكم الذي من الواضح أنه يريد أن يستفيد أولاده من معرفة السنة، التي هي فضيلة وليست رذيلة!

إن جواب البخاري «لا يسعني أن أخص بالسماع قومًا دون قوم» يُظهر إحساسه بالمسؤولية

كعالم تجاه الدين والأمة. فقال إنه لن يقبل أن تكون معرفة الإسلام محدودة أو أن تُدرَّس حصرًا لأشخاص معينين. بل ينبغي أن تكون في متناول الأمة كلها وجميع المسلمين.

بكلمات أخرى، لقد أجاب الأمير: «هل تريد أن يتعلم أبناؤك؟ إذن دعهم يحضرون حلقات المساجد مثل جميع الأشخاص الآخرين». ما هذه الشجاعة التي لا توصف؟! وما هذا الإخلاص الذي يمتلكه هذا الرجل؟! هذا باحث حقيقي عن الإسلام! جاء هذا الموقف في نهاية المطاف على حساب دنياه؛ لأنه في وقت لاحق تم طرده من مدينته الأصلية، وتوفي دون أن يحاط بالتقدير والدعم الذي يستحقهما. مكانته في الآخرة، لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون في أعلى الدرجات.

كيف يجب علينا أن نحمي إرث البخاري اليوم؟

على الرغم من أن البخاري عاش في وقت كان فيه انتشار كبير للعلماء الكبار، إلا أن هذا لم يمنعه من العمل، واستفاد من العصر الذهبي للإسلام وازدهار المعرفة الإسلامية، زمن العلماء مثل الإمام أحمد والشافعي.

غير أن ذلك لم يتسبَّب في تراجع دافعه أو إحساسه بالمسؤولية إلى أدنى حد. على الرغم من أن هذا كان عصرًا كان الإسلام يسيطر فيه على العالم. وكانت هذه الفترة التي ترقى فيها الأمة إلى مستوى وصف كونها أفضل أمة للبشرية. فقد كانت الخلافة حاضرة، وكانت الشريعة هي المصدر الوحيد للتشريع في البلاد الإسلامية.

على الرغم من كل هذا فقد كرَّس حياته كلها للعمل من أجل دين الإسلام. ولم يكن راضيًا أبدًا عما هو أقل من الكمال، ولا يمكن أبدًا أن يكتفي بفعل القليل، ولم يضيِّع وقته في السعي أو التنافس في أمور الدنيا.

فكيف يمكن للمرء اليوم أن يبرر السلبية والإهمال في حمل الدعوة والعمل من أجل إحياء دين الله، ونحن نعيش في زمن لا وجود فيه للخلافة؟ في فترة يتم فيها تطبيق قوانين من صنع الإنسان في العالم الإسلامي كله ويتم الاعتداء على شرف وحياة المسلمين كل يوم؟

لذا دعونا نسعى جاهدين لنكون من بين أولئك الذين اختارهم الله لحمل رسالة الدين. ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا﴾.

لم يكن الإسلام غريبًا في حياة البخاري كما هو اليوم، لذا دعونا نسعى جاهدين للعيش من أجل أن نكون من بين الغرباء الذين سيصلحون ما أفسده الناس من خلال العمل من أجل رفعة الدين الإسلامي. «**بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**». ■

بعد الإعلان عن الاتفاق الإماراتي - (الإسرائيلي): جامعة الدول العربية تعلن ما كانت تخفيه من خيانة للقضية الفلسطينية

- رفضت جامعة الدول العربية طلبًا تقدمت السلطة الفلسطينية بطلب لعقد اجتماع عربي طارئ لمناقشة اتفاق التطبيع الذي أبرمته الإمارات مؤخرًا مع إسرائيل. وتأكيد أنه سيكون اجتماعاً عادياً، في ٩ سبتمبر/أيلول المقبل.

- في ظل الموجة التطبيعية التي افتتحتها الإمارات، واضح أن مساراً سياسياً جديداً في المنطقة سيأخذ مجراه، وتعاملاً مختلفًا كلياً عن السابق سيكون مع «القضية الفلسطينية» والالتفات إليها على أنها قضية أهلها فحسب، أي «تصفية القضية الفلسطينية».

- إن المموِّل الحقيقيَّ لجامعة الدول العربية هي دول الخليج وعلى رأسها الإمارات والسعودية. هناك اتجاه لدى دول عربية وخاصة خليجية نحو التطبيع مع إسرائيل (البحرين وعمان) وأعلنت الكويت أنها لن تكون سوى آخر المطبّعين. أما السعودية، فإن تأخرت قليلًا لأنها تحتاج إلى المزيد من الوقت لتتجرّأ على إظهار علاقاتها مع (إسرائيل)، وهي خائفة من تداعيات مثل هكذا قرار. وهناك قطر التي كانت السبَّاقة في إقامة العلاقة الخاصة مع (إسرائيل). وهناك مصر السيسي حيث مقر الجامعة والتي تطبع علاقاتها مع (إسرائيل) منذ عام ١٩٧٩م بعيد اتفاقية كامب ديفيد. وهناك السودان الذي بدأ بالتطبيع من تحت الطاولة وهو في صدد إظهارها. فأي جامعة دول عربية هذه ستكون بعد الإعلان عن التطبيع؟!. وأي قضية فلسطينية ستبقى في رأس سلم أولوياتها؟!.

- لا شك أن الاتفاق الإماراتي-(الإسرائيلي) إذا تبعته موجة تطبيع خليجية وغير خليجية هو جزء من صفقة القرن، ومتعلق في جانب منه بالقضية الفلسطينية، وسيغير كثيراً من السياسات القائمة في المنطقة والتحالفات، وبالتالي المنظمات الإقليمية والتي كانت بالأصل خاوية على عروشها، كجامعة الدول العربية، ومنظمة التعاون الإسلامي، ومجلس التعاون الخليجي.

الوعي: إن موجة التطبيع القادمة هذه هي موجة إعلان حكام عن خياناتهم للقضية الفلسطينية، ولا علاقة للشعوب الإسلامية بها، بل هم، أي الحكام، ينتابهم الخوف والتردد من مثل هذا الاجتراء، والشعوب الإسلامية لا شك أنها تغلي منها. إن الجامعة بالأصل هي مجرد أداة في يد عواصم بعينها تستخدمها لأجندات لا علاقة لها بالإجماع العربي ولا بقضايا وتطلعات الأمة العربية". وانتهت الآن المتاجرة بالقضية الفلسطينية من لدن الحكام، وعادت القضية إلى الأمة، وهذا هو الوضع السويُّ. ■

السودان يقيل المتحدث باسم الخارجية بعد تأييده التطبيع مع (إسرائيل)

أعلنت وزارة الخارجية السودانية إقالة الناطق الرسمي باسمها حيدر بدوي صادق بسبب إعلان تأييده تطبيع العلاقات مع (إسرائيل) وكان حيدر بدوي قال في تصريحات يوم ٢٠٢٠/٠٨/١٨م إن الاتصالات قائمة بين السودان و(إسرائيل) من أجل تطبيع العلاقات، وأشاد بالاتفاق الأخير الذي أُعلن بين الإمارات و(إسرائيل)، ووصفه بـ«الخطوة الشجاعة والجريئة» وأضاف أنه في حال توقيع اتفاق سلام، فإن السودان «سيكون أهم بلد تطبّع معه إسرائيل، حتى أهم من مصر»، مؤكدًا أن «السلام بين إسرائيل والبلدان العربية يساعد العالم على تحقيق السلام الدولي» وقال المتحدث باسم الخارجية السودانية إن بلاده تطمح إلى تطبيع قائم على مكاسب للجميع، بما في ذلك السعودية. وقال أيضًا «نحن لسنا أول دولة تطبع مع إسرائيل وعلاقتنا مع اليهود قديمة منذ عهد موسى عليه السلام، وسنناقش التطبيع مع إسرائيل في دهاليز السلطة بالخرطوم، ولسنا تبعًا لغيرنا» وتابع «تطبيعنا مع إسرائيل سيكون مختلفًا ومن نوع فريد ولا يشبه الدول الأخرى». وأضاف: «إسرائيل ستستفيد من السودان، ونحن سنستفيد منها ويجب التعامل بندية، إسرائيل ستستفيد منا فائدة عظيمة» وفي لقاء معه أجرته القناة الرسمية للتلفزيون (الإسرائيلي) «كان ١١»، بعد إقالته من منصبه بسبب تصريحاته قال إنه غير نادم على تصريحه، وقال أنا لا أفهم لماذا ثارت هذه الضجة. لقد بدأ السودان تطبيع العلاقات مع إسرائيل حتى قبل الإمارات، ففي عهد الرئيس جعفر النميري قام السودان بمساعدة إسرائيل على تهجير اليهود الفلاشا من إثيوبيا». وأضاف صادق: «يجب أن نتمتع بالشجاعة، كما فعل الرئيس البرهان الذي التقى مع رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو في عنتيبي مطلع السنة، وكما فعل قادة الإمارات. إنني مقتنع بأن السلام مع إسرائيل بات ضرورة لمصلحة السودان». وفي وقت لاحق نفت وزارة الخارجية السودانية ما ورد في تصريحات الناطق باسمها، وعبرت عن دهشتها منها، وقال وزير الخارجية السوداني المكلف عمر قمر الدين في تصريح صحفي إن الوزارة «تلقت بدهشة» تصريحات حيدر بدوي صادق. وأضاف الوزير أن هذه التصريحات «أوجدت وضعًا ملتبسًا يحتاج لتوضيح». وشدد على أن «أمر العلاقات مع إسرائيل لم تتم مناقشته في وزارة الخارجية بأي شكل كان، ولم يتم تكليف السفير حيدر بدوي للإدلاء بأي تصريحات بهذا الشأن».

الوعي: اللافت هو ما قاله وزير الخارجية السوداني المكلف عمر قمر الدين في تصريحه الصحفي إن الوزارة «تلقت بدهشة» هذه التصريحات وإن هذه التصريحات «أوجدت وضعًا ملتبسًا يحتاج لتوضيح» والحقيقة هي العكس، إن هذه التصريحات كشفت وضعًا ملتبسًا فجعلته واضحاً ويريد الوزير أن يجعله ملتبساً. والذي يستحق الإقالة والمحاكمة هو حكام السودان الذين بدأت خياناتهم المتخفية منذ زمن تنفضح، مثلهم مثل غيرهم من الحكام. ولنقل إن ما حدث إن هو إلا أسلوب سينقل السودان وغيرها إلى الكشف عن المستور... إنها مرحلة **«إعلان خيانات الحكام».** ■